روايات مصرية

سلسلة الأعداد الخاصة 28

رجل المستحيل

د. نبيل فاروق

قلعة الشر







قلعة الشر

مهمة جديدة لرجل المستحيل، يواجه فيها (أدهم صبرى) واحدًا من أكبر وأخطر ممولى الإرهاب فى (أوروبا) ... مهمة غير رسمية ... عندما أدركت المخابرات المصرية أن مواجهة الإرهاب لا تقتصر على المواجهات المباشرة فحسب ... لا بد وأن تمتد المواجهة إلى رءوس الأفعى ... إلى مموّلى وداعمى الإرهاب ... وفى (أوروبا) الشرقية، بدأت المواجهة ... فكان على (أدهم) و(منى) و(قدرى) مواجهة أخطر زعيم للجريمة الدولية ، والسعى لاختراق وتدمير قلعته الأسطورية المنيعة ... قلعة الشر .

16 / 12 / 017









80001028

1 ـ مهمة غير رسمية ..

التقط (قدرى) نفسًا عميقًا ؛ محاولًا تهدئة مشاعره ، عقب تلك المحاضرة ، التى ألقاها على مسامع الجيل الجديد ، من ضباط المخابرات العامة ، والتى اضطر خلالها ، كما يحدث دومًا ، للإجابة عن عشرات الأسئلة ، حول (أدهم صبرى) ، وتاريخه ، وعملياته المبهرة ، التى تحتل مساحة كبيرة ، فى متحف المخابرات ...

كان يعلم أن (أدهم) أسطورة مبهرة ، بالنسبة لكل رجل مخابرات ، ليس فى مصر وحدها ، ولكن فى كل جهاز مخابرات فى العالم تقريبًا ، على الرغم من الهزائم العنيفة ، التى تلقوها على يديه ، قبل أن يختفى ، دون أن يعلم أحد أين هو ...

ولا كيف هو ...

أما بالنسبة إليه ، فـ(أدهم) ليس أسطورة فحسب ...

بل هو أيضًا صديق عمر ...

وهذا هو المهم ...

والأهم ...

تطلع فى لا مبالاة إلى شطيرة كبيرة ، أحضرها أحد عمال البوفيه إلى معمله ، بناءً على طلبه ...

وعلى الرغم من رائحتها الشهية ، لم يجد فى نفسه أدنى رغبة فى التهامها ...

وبالنسبة إليه ، كان هذا أكبر دليل على ذلك الحزن ، الذى يملأ قلبه ، على الرغم من ثقته ، فى أن (أدهم) بخير ، فى مكان ما ...

ولكنه لم يعد يراه ...

أو حتى يسمع صوته ...

ولقد كان المدير على حق ، عندما قال له يومًا : إن العثور على رجل مثل (أدهم) ، يعتمد فقط على أن يرغب (أدهم) فى أن يعثر عليه ...

و(أدهم) لم يرغب بعد فى هذا ...

لسبب يخصه هو وحده ...

انحدرت دمعة حزينة ، من عينى (قدرى) ، وهو ينهض إلى موقد صغير ، ويستعد لعمل كوب من الشاى ، عندما طرق باب معمله ، على نحو يشفُّ عن تردُّد صاحب الطرقات ، فغمغم دون أن يلتفت إلى الباب :

ـ ادخل يا (عادل) .

دفع شاب فى منتصف عقده الثالث الباب ، وهو يغمغم فى حيرة :

ـ كيف علمت أنه أنا يا سيِّد (قدرى) ؟!

أشار (قدرى) إلى أذنه ، دون أن يلتفت إليه :

ـ لدى أذنان حساستان .

ثم التفت إليه بابتسامة باهتة :

ـ هل أعدَّ لك كوبًا من الشاى معى ؟!

غمغم (عادل) ، وهو يتخذ مجلسًا :

ـ سأكون شاكرًا .

أعدَّ (قدرى) كوبى الشاى ، ووضع أحدهما أمام (عادل) ، وشفتاه مازالتا تحملان تلك الابتسامة الباهتة :

ـ لست هنا لسبب رسمى ... أليس كذلك ؟!

صمت (عادل) لحظات متردِّدًا ، ثم هزَّ كتفيه :

ـ إنه سبب بحثى فى الواقع .

أشار إليه بيده :

ـ هات ما لديك .

اعتدل (عادل) فى اهتمام ، حفر قسماته على ملامحه ، وهو يقول :

ـ فى محاضرتك ، أكَّدت لنا ، أن سيادة العميد (أدهم) ، لم يكن يميل أبدًا إلى القتل ، أو سفك الدماء ، إلا دفاعًا عن النفس ، وعندما لا يكون هناك سبيل آخر .

غمغم (قدرى) فى انتباه :

ـ هذا صحيح ... إنه دومًا يحترم الحياة البشرية ، حتى حياة خصومه وأعدائه .

مال (عادل) نحوه :

ـ ولكننى رصدت عدة مرات ، قتل فيها عمدًا .

تمتم (قدرى) :

ـ لم يحب القتل أبدًا .

أشار (عادل) بيده :

ـ ولكنه فعلها ... ويمكننى ذكر التفاصيل من السجلات ، و ...[1]

كان (قدرى) من أشار بسبَّابته هذه المرة :

ـ السجلات لا تحوى كل شىء .

بهت (عادل) لحظة ، حدَّق خلالها فى وجه (قدرى) ، قبل أن يغمغم فى حذر :

ـ السجلات تحوى تفاصيل كل العمليات الرسمية .

مال (قدرى) نحوه ، وهو يقول فى عمق :

ـ وماذا عن غير الرسمية ؟!

لوهلة ، تصوَّر (عادل) أنه قد أخطأ السمع ، فحدَّق فى وجه (قدرى) بضع لحظات أخرى ، اعتدل خلالها (قدرى) ، وبدا وكأنه قد نفض عن نفسه حزنه ، وبدأ يستمتع بالموقف ، فى حين تمتم (عادل) :

ـ وهل لسيادة العميد عمليات غير رسمية ؟!

صمت (قدرى) لحظات ، ثم هزَّ كتفيه ، مغمغمًا :

ـ هذا يحدث ، فى كل أجهزة المخابرات تقريبًا .

كرَّر (عادل) ، وكأنه غير مصدِّق ، لما تسمعه أذناه :

ـ عمليات غير رسمية ؟!

اكتفى (قدرى) بإيماءة من رأسه هذه المرة ، ونهض يحضر شطيرته ، التى بدت له فجأة شهية للغاية ، و(عادل) يسأله فى شغف :

---

(١) راجع (أصابع الدمار) ، المغامرة رقم (٣٢) ، (العاصفة) ، المغامرة رقم (٢٨) ، (الأبطال) ، المغامرة رقم (١٣٤) ، المواجهة الأخيرة ، المغامرة رقم (١٤٠) ، (الورقة الأخيرة) المغامرة رقم (١٤٥) ، (الأحراش) المغامرة رقم (١٥٣) ، من سلسلة (رجل المستحيل) .

ـ وهل تعلم تفاصيل واحدة ، من تلك العمليات غير الرسمية ؟!

عاد (قدرى) إلى مقعده ، وقضم قضمة كبيرة من شطيرته ، وهو يجيب بفم ممتلئ :

ـ بالطبع .

تضاعف شغف (عادل) :

ـ هل يمكنك أن تقصها على مسامعى .

تطلَّع إليه (قدرى) لحظات ، ثم وضع شطيرته أمامه ، وتنهَّد فى عمق ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـ اعتدت سماع هذا من (منى) ، وهى تجلس مكانك .

أومأ برأسه عدة مرات ، وعاد يلتقط شطيرته :

ـ كان هذا فى التسعينيات ، عندما انتشر الإرهاب ، على نحو غير مسبوق ، وارتكب عدة اغتيالات لمفكرين ، ورجال أعمال وسياح ومدنيين ... فى تلك الفترة حصلت المخابرات على معلومة موثَّقة ، عن مموِّل خطير للإرهاب ، يقيم فى قلعة منيعة فى (أوكرانيا) ، محاطًا بطاقم حراسة من أقوى رجال الكى جى بى القدامى ، ويرتبط بصلات قوية بالموساد الإسرائيلى ... كان (فيكتور كوالسكى) ، وهذا اسمه يمد زعماء وقادة التنظيمات الإرهابية بالمال والسلاح ، وكل المعلومات اللازمة لارتكاب أعمالهم الإرهابية .

غمغم (عادل) :

ـ هذا يشبه ما يحدث الآن .

لم يحاول (قدرى) التعليق على عبارته ، وهو يواصل :

ـ لو اعتبرنا أن الإرهاب ، فى تلك المرحلة ، كان أشبه ببركان ثائر ، يصب حمم الكراهية والموت على الجميع ، فـ(كوالسكى) هذا كان قمة البركان ، التى من الضرورى إغلاقها ، حتى تتحبس الحمم داخلها ... وكانت هذه أهم خطوة للقضاء على موجة الإرهاب .

اندفع (عادل) مبهورًا :

ـ هل قرَّر سيادة العميد ، تولّى هذا الأمر ، بصفة شخصية ؟!

هزَّ (قدرى) رأسه نفيًا ، وهو يلتهم قضمة كبيرة من شطيرته ، متمتمًا :

ـ كان مجرَّد مقدَّم ، فى تلك الفترة ، يلتزم بالتعليمات ، ويقاتل فى سبيل (مصر) ، وأمن (مصر) .

تمتم (عادل) :

ـ لم تجب سؤالى !!

ازدرد (قدرى) طعامه فى استمتاع ، وارتشف رشفة من الشاى ، ثم أجاب ، وهو يربت على كرشه :

ـ لقد تولَّى الأمر بصفة رسمية .

تراجع (عادل) بكل الدهشة :

ـ رسمية أم غير رسمية ؟!

قهقه (قدرى) فى استمتاع ، ولوَّح بكفه :

ـ كلتاهما .

هزَّ (عادل) رأسه فى قوة :

ـ لست أفهم .

التهم (قدرى) آخر قضمة من شطيرته ، وأفرغ ما تبقى من كوب الشاى فى حلقه ، وتنهَّد فى قوة ، ثم مال نحو (عادل) مرة أخرى :

ـ استمع إلىَّ جيدًا إذن .

وأرهف (عادل) سمعه ...

بكل الانتباه ...

* * *

شدَّ (أدهم) قامته ، وهو يقف أمام مدير المخابرات ، الذى تطلَّع إليه لحظات فى صمت ، قبل أن يشير إلى مقعد أمامه :

ـ استرح واجلس يا (ن ـ ١) ، فحديثنا قد يطول .

جلس (أدهم) ، متسائلًا فى اهتمام :

ـ هل الأمر خطير إلى هذا الحد يا سيدى ؟

أومأ المدير برأسه :

ـ أكثر مما تتصوّر .

صمت بضع لحظات أخرى ، ثم مال على سطح مكتبه .

ـ تتابع ـ بحكم موقعك ـ تلك الهجمة الإرهابية الشرسة ، التى تستهدف (مصر) ، فى الآونة الأخيرة .

أجاب فى سرعة :

ـ ولقد كتبت تقريرًا فى هذا الشأن .

التقط المدير ملفًا من فوق سطح المكتب ، وهو يقول :

ـ قرأته تفصيليًّا ثلاث مرات يا (ن ـ ١) ، وأنا أتفق معك تمامًا ، فى أن الإرهاب لا يقتصر على من يحمل السلاح فحسب ، ولكن الأخطر منه من يمول

حصوله على ذلك السلاح ، وعلى الأموال ، التى ينفقها الإرهابيون ، لتخطيط وتنفيذ عملياتهم الإرهابية .

أشار (أدهم) إلى الملف :

ـ لقد بدءوا بسرقة محال الذهب ، لتمويل عملياتهم ، ثم فجأة ، لم يعودوا يبالون بهذا ؛ مما يعنى أنهم قد حصلوا على منبع تمويل قوى .

خبط المدير على الملف بسبَّابته عدة مرات ، قائلًا :

ـ التخطيط الذى يتبعونه ، صار أكثر دقة ومهارة أيضًا يا (ن ـ ١) ، وهذا يعنى أن التمويل لا يقتصر على الأموال فحسب ، ولكنه كما يقول تقريرك ، يمتد إلى الدعم اللوجيستى والعسكرى .

أضاف (أدهم) ، مشيرًا بسبَّابته :

ـ والمخابراتى أيضًا يا سيدى .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه :

ـ قرأت هذا فى تقريرك .

ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى النافذة ، المطلة على ساحة المبنى ، وتطلع عبرها لحظات ، قبل أن يواصل ، وهو مازال يولى (أدهم) ظهره :

ـ وأنا اتفق معك تمامًا ، فيما اقترحته ، فى نهاية تقريرك .

اعتدل (أدهم) فى انتباه :

ـ سد فوهة البركان .

أومأ المدير برأسه مرتين ، وحمل صوته شيئًا من التوتر :

ـ القضاء على مصادر التمويل ، التى تتدفق منها حمم الإرهاب .

التقطت حواس (أدهم) لمحة التوتر ، فى لهجة وصوت المدير ، فغمغم فى حذر :

ـ بالضبط .

أزّ المدير :

ـ وأنا أتفق معك فى هذا .

ثم انطلقت من صدره زفرة حارة :

ـ ولكن القيادة السياسية لا تتفق معنا .

مط (أدهم) شفتيه :

ـ هذا ما خشيته .

زفر المدير مرة أخرى ، وتابع ، وهو يواصل التطلع عبر النافذة :

ـ القيادة السياسية دومًا حذرة ، فيما يخص التعامل خارج الحدود ، وما قد يستتبعه من مشكلات دبلوماسية ، وتعقيدات سياسية ، ومهاجمة شخص يحمل جنسية أخرى ، فى قلب دولته ، أمر محفوف دومًا بالمخاطر .

غمغم (أدهم) :

ـ وبقاؤه محفوف بمخاطر أكبر .

ثم نهض بدوره ، واتجه نحو المدير ، الذى التفت يواجهه ، فتابع فى حزم :

ـ مادمنا قد شبهنا ما يحدث بالبركان ، فدعنا نقول : إن سد فوهة البركان أمر محفوف بالمخاطر حتمًا ، ولكن التغاضى عن هذا ، يطلق الحمم القاتلة من الفوهة ، فيتضاعف الخطر أضعافًا .

أجابه المدير فى حسم :

ـ هذا أتفق فيه معك تمامًا .

ثم حملت لهجته مزيجًا من الحزم والصرامة ، وهو يضيف :

ـ ولهذا ، فبغض النظر عن السياسة وتعقيداتها ، سنسد فوهة البركان .

شدَّ (أدهم) قامته ، قائلًا :

ـ هذا يستلزم الوصول إلى قمة البركان .

أشار إليه المدير فى قوة :

ـ وهذه مهمتك يا (ن ـ ١) ... مهمتك غير الرسمية .

وشدَّ (أدهم) قامته أكثر ...

وأكثر ...

* * *

رفع (كوالسكى) عينيه فى بطء ، يتطلع إلى الرجل الواقف أمامه لحظات ، قبل أن يشعل سيجارًا كوبيًّا كبيرًا ، وينفث دخانه فى بطء ، ثم يقول فى هدوء ، لم يخل من لمحة صارمة :

ـ إلى ماذا تنتمى يا (فيدروف) ؟!

بدا (فيدروف) هذا حازمًا متماسكا ، وهو يجيب :

ـ وهل يصنع هذا فارقًا :

أشار (كوالسكى) بسيجاره إشارة ، فهمها مساعداه (إيفان) ذلك الأشقر الطويل رياضى القوام ، صاحب القسمات الباردة ، و(أيجور) الضخم ، الذى تخاله من النظرة الأولى دبًّا بريًّا ؛ لضخامته غير الطبيعية ، والشعر الغزير على رأسه ، وفى لحيته الكثة ، وقال فى لهجة ، غلبت صرامتها هدوءها :

ـ بالتأكيد ... من الضرورى أن أعلم مع من أتعامل .

شدَّ (فيدروف) قامته فى اعتداد :

ـ تاريخك لا يشير إلى هذا يا مستر (كوالسكى) ، فأنت تمنح السلاح لكل من يدفع الثمن ، حتى إنك فى بعض الحالات ، كنت تمنح السلاح للجانبين المتحاربين معًا .

حملت لهجة (كوالسكى) كل الصرامة هذه المرة :

ـ هذه قواعد تجارية ، لا شأن لك بها .

أطلق (فيدروف) زفرة محدودة ، مجيبًا :

ـ تستطيع أن تقول : إننى وسيط أفغانى .

مال (كوالسكى) نحوه :

ـ وهل تتحدَّث الأفغانية إذن ؟!

أجابه (فيدروف) ، وقد بدأ التوتر يسرى فى صوته :

ـ ليس بالضرورة ، فأنت تتعامل مع الكثير من التنظيمات العربية غير الرسمية ، ولا تعرف حرفًا واحدًا من العربية .

تطلع (كوالسكى) إلى شاشة اللاب توب أمامه ، ثم حملت شفتاه ابتسامة ، لم ترق لـ(فيدروف) ، الذى انتبه لأوَّل مرة ، إلى تلك الكاميرا الدقيقة المخفاة بين نقوش الإطار العلوى للحائط ، خلف (كوالسكى) تمامًا ، وشعر بتوتر شديد ، عندما تراجع (كوالسكى) فى مقعده الفخم ، الشبيه بالعروش الملكية ، واتسعت ابتسامته ، وهو ينفث دخان سيجاره ، قائلًا :

ـ أنت كاذب ، أيها العقيد (تورجنيف) .

انتفض جسد الرجل فى عنف ، عندما نطق (كوالسكى) اسمه الحقيقى ،

وندت منه حركة عصبية ، تحوَّلت إلى توتر شديد ، عندما التصقت فوهة مسدس (إيفان) الباردة بمؤخرة عنقه فى قسوة ، و (كوالسكى) يتابع :

ـ العقيد (أندريه تورجنيف) ، من المخابرات الروسية ، من أيام الكى جى بى ... عملت تحت رياسة نجم الكى جى بى (سيرجى كوربوف) ... حاصل على الوسام الأحمر ، من قادة (الكريملين) مباشرة .

غمغم (تورجنيف) فى عصبية :

ـ اعترف لك بالتفوق يا (كوالسكى) ... ربحت هذه الجولة .

اعتدل (كوالسكى) ، وحملت ملامحه مع صوته وحشية شرسة :

ـ وأنت خسرتها يا هذا .

قال فى عصبية أكثر :

ـ سأعترف بهذا فى تقريرى ، و ...

قاطعه (كوالسكى) فى شراسة :

ـ الذى لن تكتبه.

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، ارتفعت زمجرة وحشية ، من خلف (تورجنيف) ، وانعقد ساعدا (أيجور) القويان حول وسطه وذراعيه ، ككلابتين من الصلب ، فقاوم فى شراسة ، صارخًا :

ـ لن تنجو من هذا يا (فيكتور) .

نفث (كوالسكى) دخان سيجاره فى هدوء :

ـ نجوت مما هو أكثر خطورة .

وفى قوة غير طبيعية ، حمل (أيجور) (تورجنيف) ، واتجه به نحو النافذة ، و (كوالسكى) يسأل (إيفان) فى برود :

ـ هل تناولت كلابنا طعام العشاء ؟!

ابتسم (إيفان) ابتسامة باردة ، مغمغمًا :

ـ لم تتناول حتى طعام الغداء .

التمعت عينا (كوالسكى) فى وحشية ، وهو يلتفت إلى (تورجنيف) ، الذى وصل به (أيجور) إلى النافذة :

ـ سينتهى الأمر بسرعة إذن .

صرخ (تورجنيف) ، وهو يقاوم فى شراسة :

ـ لن تنجو من هذا ... الرفاق لن يتركوك تحيا .

أطلق (كوالسكى) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال موجهًا حديثه إلى (إيفان) :

ـ لم يتخلَّص بعد من لقب رفيق هذا .

ثم أشار بيده إلى (أيجور) ، الذى استجاب لإشارته ، بدفع (تورجنيف) عبر النافذة ، من الطابق الثالث للقصر ...

ومع ارتفاع صراخ (تورجنيف) ، وصوت ارتطامه العنيف بالأرض ، والذى أعقبه نباح كلاب وحشية وزمجرتها ، ابتسم (كوالسكى) ، ونفث دخان سيجاره ، وقال :

ـ أنت تعلم ما ستفعله ببقاياه يا (إيفان) .

أومأ (إيفان) برأسه إيجابًا ، وابتسم ابتسامته الباردة ... كالثلج ...

***

« هذه المهمة غير رسمية يا (ن ـ ١) ... »

استعاد ذهن (أدهم) كلمات المدير ، وهو يتطلَّع عبر نافذة فندق صغير ، إلى أحد شوارع العاصمة الأوكرانية (كييف) ، واتخذ مجلسًا إلى جوار النافذة ، يسترجع ذلك الحوار الأخير ...

« هذا يعنى أنك لن تحصل منا على أية مساعدة رسمية ... لن يمكنك الاستعانة بالسفارة ، مهما بلغت تعقيدات الأمر ، ولن يمكنك حتى الاستعانة بمكتبنا هناك ، ولا بأية إمكانيات ، يمكن أن يوفرها لك ... والأهم ، أنه لو تعقَّدت الأمور ، فسننكر رسميًّا أية علاقة لنا ، بما تقوم به ... هل يوافقك هذا ؟!... »

استمع إلى المدير فى اهتمام صامت ، قبل أن يشد قامته :

ـ كل ما هو فى صالح (مصر) يوافقنى يا سيدى .

بدا أن المدير كان يتوقَّع الموقف والجواب ، فقد قال مباشرة :

ـ هل ستستعين بأحد ؟!

وبدون تردد أيضًا ، أجابه (أدهم) :

ـ فريقى المعتاد ... (منى) ، و (قدرى) .

أشار المدير بسبَّابته محذرًا :

ـ لاحظ أن الشروط نفسها ستنطبق عليهما ، وهذا يعنى ضرورة موافقتهما عليها ، قبل بدء المهمة .

« (أدهم) ... فيم انشغالك ؟!... »

انتزعه صوت (منى) من ذكرياته ، فالتفت إليها :

ـ (منى) ... مازالت أمامك فرصة للتراجع ، فما أن تبدأ المهمة ، حتى لا يعود هناك سبيل لذلك .

اكتفت (منى) بابتسامة ، فى حين هتف (قدرى) فى مرح :

ـ شرطى الوحيد هو أن نختبر المطعم الأوكرانى أوَّلًا .

ابتسم (أدهم) :

ـ لن يختلف عما اعتدته ، أثناء دراستك الفن فى (موسكو) .

قهقه (قدرى) ضاحكًا :

ـ تصوَّرت أنه سيختلف ، بعد سقوط الاتحاد السوفيتى .

اتخذت (منى) مجلسًا ، وهى تبتسم :

ـ ربما تكون على حق ... لقد لمحت مطعمًا أمريكيًّا شهيرًا للهامبورجر ، ونحن فى طريقنا ، من المطار إلى هنا .

اعتدل (أدهم) فجأة ، وهو يقول فى حزم :

ـ ألا ينبغى أن نراجع خطتنا ؟!

اعتدلت (منى) بدورها :

ـ ألسنا هنا لهذا الغرض .

نهض (أدهم) إلى مائدة صغيرة ، فرد فوقها رسمًا تخطيطيًّا لقصر (كوالسكى) ، وأشار إليه :

ـ (فيكتور كوالسكى) يقيم فى قصر أشبه بالقلعة الحصينة ... منعزل تمامًا ، وسط مساحة خمسين فدانًا ، مزروعة بالعشب فحسب ، بحيث يمكن رصد أى متسلِّل ، من مسافة كيلو مترين ، ولا يوجد سوى طريق ممهَّد واحد ، يقود إلى القلعة ، والمساحة المحيطة بالقصر مزروعة بالألغام الأرضية ،

أما القلعة نفسها ، فمحاطة بأسوار عالية ، بارتفاع ثلاثة أمتار ، يعلوها سلك شائك مكهرب، وفى الأركان ، ومنتصف الأسوار ، هناك أبراج حراسة ، وأنوار كاشفة قوية ، والأسوار مزوَّدة بمدافع آلية قوية ، يمكنها مقاومة فرقة مسلحة كاملة .

غمغم (قدرى) :

ــ أهذا ما نريد اقتحامه ؟!

ثم تجشأ ، وربَّت على كرشه ، قبل أن يتابع :

ــ يبدو لى أننى قد فقدت شهيتى .

تطلع (أدهم) إليه لحظات ، ثم عاد ببصره إلى الرسم التخطيطى :

ــ حتى لو نجحنا فى عبور الأسوار ، فسنجد خلفها جيشًا من رجال الحراسة ، وقطيع من الكلاب ، المدرَّبة ليس على مهاجمة الغرباء فحسب ، وإنما على التهامهم أيضًا .

ألقى (قدرى) جسده الضخم على مقعد قريب ، وهو يمسح عرقًا وهميًّا عن وجهه :

ــ ضاعت شهيتى إلى الأبد .

أما (منى) ، فقد صمتت لحظات ، وهى تتطلع إلى الرسم ، قبل أن ترفع عينيها إلى (أدهم) فى توتر :

ــ وماذا عن (كوالسكى) نفسه ؟!... ألا يغادر قلعته أبدًا ؟!

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا فى بطء :

ــ لم يغادرها منذ تسع سنوات .

بدت مبهوتة :

ــ وكيف يمكن الوصول إلى رجل كهذا ؟!

اعتدل (أدهم) ، وحمل صوته كل الحزم ، وهو يرفع سبَّابته :

ــ لا توجد سوى وسيلة واحدة .

وعندما شرح ما لديه ، انتفض جسدا (منى) و(قدرى) ... وبمنتهى العنف .

***

2 ـ العميـــل ..

لم يكد (إيريك جولدمان) ، عميل (الموساد) ، يغادر مطار (كييف) ، حتى وجد (إيفان) فى انتظاره ، فى سيارة (مرسيدس) كبيرة ، ذات زجاج معتم ، فاتجه إليه مباشرة ، وجلس إلى جواره فى السيارة :

ـ مرحبًا بك فى (كييف) أدون (جولدمان) .

وضع (جولدمان) حقيبته إلى جواره ، والسيارة تنطلق به :

ـ كيف حالك يا (إيفان) ؟!

غمغم (إيفان) فى برود :

ـ فى خير حال .

تساءل (جولدمان) :

ـ وماذا عن أدون (كوالسكى) ؟!

بنفس البرود أجابه (إيفان) :

ـ ينتظرك فى مكتبه ، فى السابعة مساء الغد .

انعقد حاجبا (جولدمان) :

ـ ولماذا ليس اليوم ؟!

بدت إجابة (إيفان) باردة قاسية :

ـ السابعة من مساء الغد .

زفر (جولدمان) فى توتر :

ـ أمازال يعشق أسلوب السيطرة المتعجرف هذا ؟!

تجاهله (إيفان) تمامًا ، وواصل قيادة السيارة ، مما زاد من حنق (جولدمان) فقال فى عصبية :

ـ ألا يقيم وزنًا لعلاقة تعاون ، بلغت ما يقرب من المليار دولار ، فى السنوات العشر الأخيرة .

غمغم (إيفان) بنفس بروده :

ـ لستم وحدكم زبائننا .

حمل صوت (جولدمان) شيئًا من العصبية :

ـ بنفس القدر ؟!

اختلط برود صوت (إيفان) بصرامته :

ـ الزعيم سيلتقى بك فى السابعة مساء الغد .

أدرك (جولدمان) عندئذ ، أن المناقشة لن تجدى نفعًا ، فأطلق زفرة قوية حارة ، وغمغم ، محاولًا السيطرة على أعصابه :

ـ وأين سأقيم الليلة ؟!

زاد (إيفان) من سرعة السيارة :

ـ حجزنا لك جناحًا مؤمَّنًا ، فى (كريسكاتيك سيتى سنتر) ، مع حراسة من ثلاثة من أقوى رجالنا ، ولو أردت التجوّل فى المدينة ، فسوف ...

قاطعه (جولدمان) فى صرامة :

ـ كلا ... سأبقى فى الفندق .

وبعدها لم يتبادلا كلمة واحدة ..

على الإطلاق ...

***

توقفت سيارة صغيرة ، أمام ذلك الفندق البسيط ، فى قلب (كييف) ، وفى صعوبة ، خرج منها (قدرى) بجسده الضخم ، وراح يلهث على نحو ملحوظ ، وهو يتجه إلى الفندق ، ويستقل مصعده القديم إلى الطابق الثالث ، حيث حجرة (أدهم) ، وما أن دخلها ، حتى هتف ، فى إرهاق واضح :

ـ أظننى قد استعدت شهيتى ... ما رقم خدمة الغرف هنا .

نهضت (منى) مبتسمة :

ـ كنت أتوقع هذا ... الطعام سيصل بعد قليل .

جلس على أول مقعد صادفه ، ملوّحًا بيده :

ـ أتمنّى أن تكون كمية كافية .

حمل صوت (أدهم) كل الاهتمام :

ـ ماذا لديك ؟!

حاول (قدرى) السيطرة على أنفاسه ، وهو يقول :

ـ المعلومات التى زوّدونا بها من (القاهرة) كانت صحيحة ... (إيريك جولدمان) بشحمه ولحمه .

سأله (أدهم) :

ـ هل التقطت كمية كافية من الصور ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وناول (منى) كارتًا رقميًا ، وهو يقول :

ـ أوصلوه إلى (كريسكاتيك سيتى سنتر) ، فى وسط المدينة .

دفعت (منى) اللاب توب نحوه :

ـ قم بعملك إذن .

راح (قدرى) يعمل على اللاب توب فى سرعة ، فى حين أوصل (أدهم) الكارت الرقمى بالتليفزيون الكبير فى الحجرة ، وبدا شديد الاهتمام ، وهو يطالع الزوايا المختلفة فى صور (جولدمان) ، وغمغمت (منى) :

ـ عظام وجهه تختلف عنك تمامًا .

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ـ هذا لا يمثل مشكلة .

ارتفع صوت (قدرى) ، فى هذه اللحظة ، حاملًا رنة ظافرة :

ـ الأمر لم يكن بهذه الصعوبة .

سألته (منى) فى اهتمام :

ـ هل اخترقت بيانات الفندق ؟!

أشار إلى شاشة اللاب توب فى زهو :

ـ ليس بياناته فحسب ... لقد سيطرت على كاميرات المراقبة أيضًا ، ويمكننا رصد كل ما يدور داخله.

انتقل إليهما (أدهم) ، وراح يتابع كاميرات المراقبة بكل الاهتمام :

ـ جناح ستمائة وسبعة ، وهناك ثلاثة عمالقة يحرسون بابه .

قال (قدرى) :

ـ هناك كاميرا داخل صالة الجناح ، ويمكننى السيطرة عليها تمامًا .

أشار (أدهم) إلى (جولدمان) ، الذى يتحرك فى توتر ، فى صالة الجناح ، وقال :

ـ هل يمكنك رفع الصوت ؟!

غمغمت (منى) :

ـ لن يقول أى شىء ، فى هذا المكان ، فهو يعرف أنه مراقب .

تمتم :

ـ المهم أن يتكلم ... أريد سماع صوته .

ابتسمت (منى) :

ـ فهمت .

وهنا هتف (قدرى) :

ـ لقد تأخَّر الطعام .

وضع (أدهم) سماعات اللاب توب على أذنيه ، وراح يستمع إلى (جولدمان) ...

وبكل الاهتمام ...

والتركيز ...

***

أشعل (كوالسكى) سيجاره الفخم ، وهو يواجه (إيفان) ، قائلًا فى لهجة غلبت عليها الصرامة :

ـ الجناح مؤمَّن جيدًا ؟!

أومأ (إيفان) برأسه إيجابًا ، ثم تساءل فى برود :

ـ ولكن فيم الانتظار أيها الزعيم ... لماذا لا تتم الصفقة الليلة ؟!

رمقه (كوالسكى) بنظرة نارية ، جعلته يتراجع فى سرعة :

ـ لديك أسبابك بالتأكيد .

أجابه فى صرامة :

ـ سؤالك لا محل له .

ثم نفث دخان سيجاره فى قوة ، قبل أن يضيف فى حدة :

ـ أنا فقط من يلقى الأسئلة هنا .

غمغم (إيفان) :

ـ بالطبع .

أشار بيده ، فى حركة سلطوية :

ـ اتركانى وحدى .

انصرف (إيفان) و (أيجور) ، وتركاه وحده تمامًا ، فى حجرة مكتبه الواسعة الفاخرة ، فالتقط سماعة هاتف خاص ، وطلب رقمًا خارجيًّا قبل أن يقول :

ـ مساء الخير أدون (موشى) ... نعم ... مندوبكم وصل ... لا ليس الليلة ... أريد كل بياناتكم عنه أوَّلًا ... وبصماته ... من المهم أن تصلنى بصماته ، قبل أن التقى به ... من المهم جدًّا أدون (موشى) .

ما هى إلا ثوان ، وحملت شاشة اللاب توب الخاص به ، كل بيانات (جولدمان) ، مع نسخة من سجل بصماته ، وهنا ضغط (كوالسكى) زرًّا على سطح مكتبه ، فدخل (إيفان) على الفور ، وكأنه كان يقف بالباب :

ـ أوامرك يا زعيم .

مال (كوالسكى) على سطح مكتبه ، قائلًا فى حزم :

ـ عندما يصل (جولدمان) غدًا ، أريده أن يتعرّض لفحص أمنى شامل ، قبل أن يصل إلى هنا .

غمغم (إيفان) :

ـ من الدرجة الأولى ؟!

تراجع (كوالسكى) ، ونفث دخان سيجاره فى بطء ، قبل أن يجيب بكل صرامة :

ـ أريد ما هو أكثر من ذلك .

وفى هذه المرة ، لم يحاول (إيفان) المناقشة ...

على الإطلاق ...

***

« هل قمت بالحجز المطلوب ؟! ... »

أجابه (قدرى) ، وهو يلتهم طعامه فى نهم ، ويعمل على الكمبيوتر ، فى الوقت ذاته :

ـ الجناح سبعمائة وسبعة ، الذى يعلو جناح (جولدمان) مباشرة ، ولكن ...

تردَّد بضع لحظات ، فسألته (منى) :

ـ ولكن ماذا ؟!

تردَّد لحظة أخرى ، ثم اندفع :

ـ الفندق يطل على ميدان رئيسى ، فى قلب العاصمة ، والأضواء مسلطة عليه طوال الوقت .

أكملت (منى) :

ـ و(أدهم) لن يمكنه الهبوط ، من جناحه إلى جناح (جولدمان) ، أمام كل العيون .

أشار (أدهم) بسبَّابته :

ـ إلا لو ابتعدت كل العيون .

التقطت (منى) نفسًا عميقًا ، وقالت فى جذل :

ـ وهنا يأتى دورى .

أشار إليها (أدهم) :

ـ بالضبط .

وكان هذا إيذانًا ببدء العملية ...

وبداية الخطر ...

***

نقل موظف الاستقبال فى الفندق بصره ، بين صورة جواز السفر الفرنسى ، وذلك الكهل الأشيب كث الشعر ، الذى يقف أمامه ، قبل أن يغمغم بابتسامة عريضة :

ـ مرحبًا بك فى (كييف) مسيو (رونيه) ... يبدو أن مكتبك قد أجرى حجزًا إليكترونيًّا بالفعل .

بدا صوت الكهل الفرنسى أجشًا ، وهو يغمغم :

ــ بالتأكيد .

أشار موظف الاستقبال إلى أحد عمال الفندق ، لحمل حقيبة الكهل الوحيدة إلى جناحه ، وهو يعيد إليه جواز سفره ، مع نفس الابتسامة العريضة :

ــ إقامة سعيدة مسيو (رونيه) .

اتكأ الكهل على عكازه البسيط ، وهو يتجه إلى مصعد الفندق ، فى حين اتجه شخص غليظ إلى موظف الاستقبال ، يسأله :

ــ لديك بياناته ؟!

تلفت موظف الاستقبال حوله فى حذر ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

ــ اسمه (آلان رونيه) ، يمتلك ورشة أحذية كبيرة فى (كاليه) .

سأله فى صرامة :

ــ ألديك صورة لجواز سفره ؟!

بدا صوت موظف الاستقبال مضطربًا ، وهو يناوله الصورة :

ــ ها هى ذى .

فى نفس اللحظة ، التى حصل فيها الرجل على صورة الجواز ، كان ذلك الكهل يفرد قامته شبه المنحنية ، ويبدو رياضيًا ، مفعمًا بالحيوية والعنفوان ، وتغيَّر صوته الأجش تمامًا ، وهو يقول :

ــ بعد ثلاثين ثانية يا (منى) .

استقبل (قدرى) الرسالة أيضًا ، وراحت أصابعه تعمل فى سرعة ، على أزرار اللاب توب ، للسيطرة على كاميرات المراقبة فى الفندق ...

فى نفس اللحظة ، ومع باروكة شقراء ، وثوب سهرة ، يحمل رائحة الخمر ، انطلقت (منى) بسيارة رياضية ، على نحو متعرج ، وكأنها تفقد السيطرة على السيارة ، التى انحرفت على نحو حاد ، لترتطم بثلاث سيارات ، متوقفة على جانب الطريق ...

وفى نفس اللحظة ، التى وثبت فيها منها (منى) ، اشتعلت النيران فى السيارة الرياضية ، واندفع الكل فى كل الاتجاهات ، وسرت حالة من الهرج والمرج فى الميدان ...

وبينما تتجه أنظار الكل إلى ذلك الحادث ، وثب (أدهم) من شرفة جناحه ، إلى شرفة الجناح أسفله ، وهبط داخل الشرفة فى خفة ، ثم التقط من جيبه أداة رفيعة ، عالج بها قفل باب الشرفة ، وانصت لحظات فى انتباه كامل ، ثم دفع باب الشرفة ، فالتفت إليه (جولدمان) ، ووثب يلتقط مسدسه ، وهو يهتف :

ــ كيف ...

ودون إضاعة ، ولو جزء من الثانية ، انقضَّ عليه (أدهم) ، وأطلق قبضة فى فكه ...

وبمنتهى العنف ...

***

التفت (قدرى) فى هدوء إلى (منى) ، التى دلفت إلى حجرة الفندق ، مرتدية زيًا بسيطًا من (الجينز) العادى ، وقد تبعثر شعرها الأسود الناعم حول وجهها ، والتقط شطيرة كبيرة ، وهو يسألها :

ـ كيف سار الأمر ؟!

أجابته فى إرهاق :

ـ يواصلون البحث عن الشقراء ، ذات الثوب الأنيق ، الذى تفوح منه رائحة الخمر .

سألها فى اهتمام :

ـ وماذا عن (أدهم) ؟!

أجابته ، مشيرة إلى اللاب توب :

ـ المفترض أن أسألك أنا .

هزَّ كتفيه المكتظين :

ـ وحوش (كوالسكى) الثلاثة لم يغادروا أماكنهم ، ولم يبد عليهم أى توتر أو انفعال .

تنهَّدت فى ارتياح :

ـ لم يدركوا ما حدث إذن .

غمغم :

ـ بالتأكيد .

راقبته ، وهو ينهى شطيرته ، قبل أن تقول فى عصبية :

ـ ألا تكف عن الأكل أبدًا يا (قدرى) ؟!

تطلع إليها فى دهشة قلقة ، قبل أن يتجه نحوها :

ـ ماذا بك يا (منى) ؟!

أشاحت بوجهها بنفس العصبية :

ـ معذرة يا (قدرى) ، ولكنك تعلم مثلى أن هذه أدق مرحلة فى العملية .

ربَّت عليها فى حنان :

ـ (أدهم) أستاذ فى فن التنكُّر .

أدارت عينيها إليه ، وقرأ فيهما كل القلق والتوتر ، وهى تقول :

ـ وماذا عن خدمة الغرف ؟! ... إنه و (جولدمان) الآن فى الجناح نفسه ... أين سيخفى (جولدمان) ، عندما يأتون لتنظيف الجناح ؟!.

اعتدل (قدرى) ، وانتقل قلقها وتوترها إلى ملامحه وصوته ، وهو يغمغم :

ـ لم يخطر هذا ببالى قط !!

كرَّرت داخلها فى توتر شديد ...

كيف سيتجاوز هذا ؟!...

وكان هذا هو السؤال بالفعل ...

كيف ؟!...

***

تطلع (إيفان) لحظات ، إلى صورة جواز السفر الفرنسى ، وهو يغمغم :

ـ (آلان رونيه) ... الاسم يبدو لى مألوفًا .

انطلقت أصابعه تعمل ، على أزرار الكمبيوتر ، ذى الشاشة العملاقة أمامه ،

حتى ظهرت صورة مطابقة لتلك التى يحويها جواز السفر ، وتحتها اسم (آلان رونيه) ، وصورة لورشة الأحذية التى يمتلكها ، فتمتم (إيفان) فى برود :

ـ البيانات صحيحة .

جرت عيناه على صفحة الإنترنت لحظات ، قبل أن يتوقف عند سطر بعينه ... سطر جذب انتباهه فى شدة ، على نحو جعله يضغط زر الطابعة ، ثم يلتقط مجموعة الأوراق التى أخرجتها ، ويتجه بها ، فى خطوات سريعة إلى مكتب زعيمه ، الذى راجع الأوراق ، قبل أن يرفع عينيه إليه فى صرامة :

ـ ما الذى يقلقك فى هذا ؟!

أشار (إيفان) إلى سطر بعينه ، مجيبًا :

ـ مدام (كاثرين) ، زوجة (رونيه) ، يفترض أن تنتظر مولودًا ، خلال هذا الأسبوع ، فكيف يمكن أن يتركها زوجها المحب ، ويأتى إلى (كييف) ، فى ظل هذه الظروف ؟!

انعقد حاجبا (كوالسكى) ، وتسلَّل الشك إلى قلبه وصوته ، وهو يغمغم :

ـ صفقة كبيرة !!

هزَّ (إيفان) رأسه نفيًا :

ـ إنه مولود انتظراه لعقد ونصف ، ولقد كلفهما حمل مدام (كاثرين) ثروة ، هل كنت ستترك زوجتك ، فى موقف كهذا ؟!

أجابه (كوالسكى) فى سرعة :

ـ أنا نعم ... أما هو فلا أعتقد .

مال (إيفان) نحوه :

ـ لاحظ أنه يقيم فى الجناح ، الذى يعلو جناح (جولدمان) مباشرة .

تزايد الشك ، فى أعماق (كوالسكى) ، واستغرق فى التفكير بضع لحظات ، ثم أشار إليه فى حزم :

ـ اتصل بـ(جولدمان) فى جناحه .

أجرى (إيفان) الاتصال على الفور ، وناول السماعة لزعيمه ، الذى قال ، مسيطرًا على انفعاله :

ـ أهلًا (جولدمان) ... أنا (فيكتور) ... هل تشعر بالارتياح فى جناحك ؟!

أجابه (أدهم) ، مستخدمًا صوت وأسلوب (جولدمان) :

ـ يفى بالغرض .

صمت (كوالسكى) لحظة ، ثم سأله :

ـ أأنت مستعد ، لموعدنا غدًا فى السادسة ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ السؤال نفسه لك .

اعتدل (كوالسكى) ، والتمعت عيناه ، وهو يقول :

ـ سأكون فى انتظارك .

أنهى المحادثة ، ثم التفت إلى (إيفان) ، بابتسامة ظافرة كبيرة ، فقال هذا الأخير فى تساؤل :

ـ اللقاء فى السابعة وليس السادسة .

مال (كوالسكى) نحوه ، وعيناه تلتمعان فى شدة :

ـ ولكنه لم يدرك هذا ... ولم يحاول حتى تصحيحه .

ظلَّت ملامح (إيفان) ولهجته على برودهما ، وهو يغمغم :

ــ هذا يعنى أنه ...

قاطعه (كوالسكى) بإشارة من يده :

ــ دون أدنى شك .

حملت قسمات (إيفان) لمحة من الصرامة والقسوة ، وهو يقول :

ــ سأتصل بالرجال فورًا ، لكى ...

قاطعه (كوالسكى) مرة أخرى :

ــ كلا .

تساءل (إيفان) :

ــ هل سنتركه ؟!

ازداد التماع عينى (كوالسكى) ، وهو يقول :

ــ ليس هذا فحسب ، بل سنواصل التعامل معه ، باعتباره (جولدمان) .

سأل (إيفان) فى حذر :

ــ ونحضره إلى هنا .

تراجع (كوالسكى) فى مقعده :

ــ معززًا مكرمًا .

حملت لهجة (إيفان) قلقه :

ــ ثم ؟!

أطلق (كوالسكى) ضحكة قاسية ، ثم أشعل سيجاره ، ونفث دخانه فى الهواء ، قبل أن يجيب :

ــ ستنعم الكلاب بوجبة شهية .

دوت ضحكته هذه المرة عالية ...

على غير المعتاد ...

تمامًا ...

***

على مسافة بعيدة ، من قلعة (كوالسكى) ، أوقف (قدرى) سيارته الصغيرة ، وهو يغمغم :

ــ كان ينبغى لهم استئجار سيارة أكبر .

غادر السيارة فى صعوبة ، ثم أخرج عدة صناديق صغيرة من السيارة ، التقط منها عددًا من البالونات ، وأسطوانة من الهليوم ، وراح يملأ البالونات بكمية محسوبة من الهليوم ، ثم أوصل كل بالون بجهاز صغير ، فى نهايته مروحة منمنة ، وراح يطلقها واحدة بعد الأخرى ، وعندما ارتفعت إلى الارتفاع المنشود ، استخدم جهاز تحكم عن بعد ، لتوجيهها ، حتى اطمئن إلى أن الأمور تحت السيطرة ، ثم جفَّف عرقه وهو يبتسم :

ــ يالك من عبقرى يا (قدرى) !

كان مزهوًا بما فعل ، حتى إنه راح يراقب البالونات لحظات ، ثم عاد إلى سيارته ، ملقيًا نظرة على ساعته :

ــ أتعشَّم أن يكون هذا كافيًا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت سيارة (إيفان) تنطلق نحو قلعة (كوالسكى) ، وبداخلها (أدهم) ، فى هيئة (جولدمان) ...

ومع الهدوء الشديد على ملامحه ، لم يكن (أدهم) يدرك ، أنه لا يتجه إلى الهدف المنشود ، ولكن إلى الفخ ، الذى سيطبق فكيه عليه ، داخل أكثر قلاع ذلك العصر مناعة ...

وأكثرها خطرًا ...

وشرًّا ...

بلا حدود .

***

3 ـ الفخ ..

حملت ملامح (سيرجى كوربوف) كل الغضب ، وهو يراجع ذلك التقرير ، الوارد من (كييف) ، فتراجع رئيسه فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ المفترض أن تتمالك مشاعرك يا كولونيل .

رفع (كوربوف) عينيه الضيقتين إليه :

ـ ما فعلوه بالرفيق (تورجنيف) يثير الغضب يا جنرال .

مطَّ الجنرال شفتيه ، مغمغمًا :

ـ الرفيق ؟!... لم يعد هناك من يستخدم هذا المصطلح .

ثم مال إلى الأمام ، دون انتظار رد فعل (كوربوف) ، مستطردًا :

ـ (الكريملين) راجع الموقف كله ، وقرَّر تغيير خطة التعامل مع (كوالسكى) .

غمغم (كوربوف) :

ـ بتصفيته ؟!

هزَّ الجنرال ، رأسه نفيًا ، وحمل صوته لمحة ضيق :

ـ بل بالتعامل المباشر معه .

انعقد حاجبا (كوربوف) الكثين فى شدة ، وظهر الغضب فى ملامحه ، على الرغم من برودتها :

ـ التعامل المباشر ؟!

هزَّ الجنرال كتفيه :

ـ هذا ما قرره (الكريملين) .

أجابه ، فى شىء من الحدة :

ـ عليهم مراجعة قرارهم إذن .

تطلع إليه الجنرال لحظة :

ـ ومن سيطالبهم بهذا ؟!

بدا صوت (كوربوف) صارمًا قاسيًا ، وهو يقول :

ـ أمثال (فيكتور كوالسكى) أشبه بالذئاب الوحشية الضارية ... يستحيل ترويضها ، أو حتى التعامل معها ، ولا سبيل للخلاص من دمويتها سوى ... قتلها بلا رحمة .

انخفض صوت الجنرال ، حتى بدا مسموعًا بالكاد ، وهو يغمغم :

ـ على نحو غير رسمى .

ضاقت عينا (كوربوف) ، حتى بدتا أشبه بخط دقيق ، يكاد يخفى عينيه الزرقاوين ، دون أن ينبس بحرف واحد ...

فقط التقى بصره ببصر الجنرال ...

ووقعا اتفاقًا شفهيًا صامتًا ...

غير رسمى ...

***

بدا (أدهم) هادئًا تمامًا ، وهو يعبر نظم التأمين الرقمية ، فى قلعة (كوالسكى) ، و (إيفان) يتابعه فى إحكام ، قبل أن يغمغم فى برود :

ـ بقى فحص البصمات .

غمغم (أدهم) ، فى صوت ولهجة (جولدمان) :

ـ لا بأس .

وضع يديه فى ثقة ، على شاشة فاحص البصمات الرقمى ، وانعقد حاجبا (إيفان) فى شدة ، عندما أعلن الكاشف أن البصمات مطابقة ، لبصمات (جولدمان) ، المرسلة من (الموساد) مباشرة ، فى حين اعتدل (أدهم) ، متصنعًا الضجر :

ـ قابلت ملوكًا ، لم يحتاجوا إلى كل هذا لمقابلتهم .

غمغم (إيفان) :

ـ كانت هذه آخر خطوة .

سار معه فى ممر طويل ، به عدد كبير من رجال الأمن المسلحين ، ثم استقلا مصعدًا داخليًا ، إلى الطابق الثالث ، حيث مكتب (كوالسكى) الخاص ، الذى يقف على بابه حارسان قويان ، يحملان مدفعين آليين قويين ، تطلع إليهما (أدهم) فى لا مبالاة ، و(إيفان) يقول :

ـ استعد للقاء الزعيم .

أجابه فى شبه سخرية :

ـ كيف ؟!

رمقه (إيفان) بنظرة باردة ، دون إجابة ، ثم ضغط زرًا ، ففتح باب حجرة المكتب ، الواسعة ، على نحو مبالغ ، والتى يجلس فى نهايتها ، وقبالة الباب تمامًا (فيكتور كوالسكى) ، الذى أشار بيده فى عظمة :

ـ تفضَّل أدون (جولدمان) .

خطا (أدهم) إلى المكان فى هدوء ، ولاحظ حسناء سمراء مبتذلة الثياب ، تتكئ على أريكة وثيرة ، فى آخر الركن الأيسر ، وعملاق مخيف ، أشبه بالدب ، يقف إلى جوار الباب ، فتجاهل الاثنين ، واتجه نحو (كوالسكى) مباشرة ، ومدَّ يده يصافحه فى قوة :

ـ يسعدنى اللقاء بك يا (فيكتور) .

رمقه (كوالسكى) بنظرة فاحصة ، قائلًا :

ـ كفك لينة أكثر مما ينبغى يا (إيريك) .

جذب (أدهم) يده ، وهو يجلس على المقعد المواجه للمكتب :

ـ فى المصافحة فحسب يا (فيكتور) .

قالها ، وهو يرصد فى لمحة سريعة ، تلك الكاميرا الخفية ، وسط نقوش حلية السقف ، فابتسم فى هدوء :

ـ يبدو لى أننى مراقب هنا يا (فيكتور) .

كان (كوالسكى) يتطلع فى اهتمام ، إلى شاشة اللاب توب أمامه ، وهو يغمغم :

ـ هل يزعجك هذا ؟!

أجابه (أدهم) بمنتهى الهدوء :

ـ لا شىء يمكن أن يزعجنى .

انعقد حاجبا (كوالسكى) فى شدة ، وهو يقرأ المكتوب على شاشة اللاب توب بكل الدهشة ، حتى إنه غمغم ، على الرغم منه :

ـ (أدهم صبرى) ؟!

اعتدل (أدهم) ، وبذل جهدًا لإخفاء دهشة حقيقية فى أعماقه ...

كيف ؟!...

كيف يمكن لشخص ما كشف هويته ، مع تنكره المتقن ، فى هيئة (جولدمان) ؟!

من يمكنه هذا ؟!...

من ؟!

لم يقفز إلى ذهنه سوى اسم واحد ، جعله يرفع عينيه مرة أخرى إلى تلك الكاميرا ، وسط نقوش السقف ، قائلًا :

ـ مرحبًا يا (سونيا) .

نطقها مستخدمًا صوته الأصلى ، ولهجته الساخرة ، فانتزع (إيفان) مسدسه ، وصوبه إليه فى سرعة ، هاتفًا :

ـ كيف ؟!... البصمات كانت مطابقة .

تراجع (كوالسكى) فى مقعده ، وأشعل سيجارًا فى ظفر ، وهو يقول :

ـ قفاز مطاطى ، يحوى بصمات (جولدمان) الحقيقى .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ برافو .

ثم انتزع قناع (جولدمان) عن وجهه ، مستطردًا :

ـ أظن أنه لم يعد هناك داع لهذا .

اعتدلت الحسناء السمراء فى دهشة شديدة ، فى حين أطلق (أيجور) زمجرة وحشية ، وهتف (إيفان) :

ـ أيها الزعيم .

أشار إليه (كوالسكى) ، يمنعه من إطلاق النار ، وهو ينفث دخانه فى وجه (أدهم) فى ظفر :

ـ هل تصوَّرت أنك يمكن أن تصل إلى هنا ، دون إرادتى يا مستر (صبرى) .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ لم يخطر هذا ببالى قط .

ثم مال قليلًا نحوه ، مستطردًا :

ـ فقد كنت واثقًا ، من أنك ستحضرنى بنفسك إلى هنا ، على الرغم من ثقتك فى أننى لست (جولدمان) .

قهقه (كوالسكى) ، ولوَّح بسيجاره :

ـ محاولة فاشلة .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هل تصوَّرت أننى لم أدرك أن موعد لقائك مع (جولدمان) ، كان فى السابعة وليس السادسة .

غمغم (إيفان) ، وسبَّابته تتحفَّز ، على زناد مسدسه :

ـ كنت تعلم ؟!

أشار (أدهم) بسبَّابته ، دون أن يتخلَّى عن هدوءه :

ـ من (جولدمان) شخصيًّا ... بالمناسبة ... لقد سحبته ، فى ذروة الظلام ،

الذى يسبق شروق الشمس ، إلى الطابق السابع ... ستجدونه هناك ، فى جناح سبعمائة وسبعة ، مقيَّدًا ومخدَّرًا .

تلاشت الابتسامة تمامًا ، من وجه (كوالسكى) ، وهو يغمغم :

ـ وعلى الرغم من هذا أتيت .

هزَّ (أدهم) كتفيه :

ـ بدافع الفضول .

مال نحوه ، يسأله فى عصبية :

ـ ألم تخش أن نقتلك ، فور كشف أمرك ؟!

استفزته كثيرًا ابتسامة (أدهم) ، وهو يجيب :

ـ لم تكن لتفعل هذا أبدًا يا (فيكتور) ؛ فلن تضيع فرصة إشباع ساديتك ، وإعلان انتصارك ، وأنت تجلس فى سجنك الذهبى الاختيارى هذا .

ثم مال نحوه ، وغلبت سخريته هدوءه ، وهو يستطرد :

ـ علم نفس .

حملت ملامح (كوالسكى) كل الغضب ، وهو ينفث دخان سيجاره فى عصبية :

ـ وهل توقعت أن تخرج من هنا حيًّا ؟!

هزَّ كتفيه فى لامبالاة :

ـ من يدرى .

هتف (إيفان) مرة أخرى ، متحفزًا بمسدسه :

ـ أيها الزعيم .

واعتدلت الحسناء السمراء ، هاتفة فى شغف :

ـ (فيكتور) ... هل ستقتله ؟!

رمق (كوالسكى) (أدهم) بنظرة مشتعلة ، قائلًا :

ـ ليس بالرصاص يا (ناتاشا) ... ليس بالرصاص .

ثم أشار بيده ، هاتفًا :

ـ (أيجور) .

انطلقت زمجرة حيوانية وحشية ، من حنجرة (أيجور) ، وهو ينقض على (أدهم) فى وحشية شرسة ...

بلا حدود ...

***

ضربت (سونيا) سطح مكتبها بقبضتها فى قوة ، على نحو كاد يسقط شاشة الكمبيوتر أمامها ، وهى تهتف :

ـ غبى ... غبى .

ارتبك مساعدها (باراك) ، وهو يغمغم فى حذر :

ـ وماذا كنت تتوقعين أن يفعلوا ؟!

هتفت فى غضب :

ـ أى شىء ، إلا المواجهة المباشرة .

وأشعلت سيجارتها فى عصبية شديدة ، قبل أن تتابع :

ـ مع (أدهم صبرى) بالذات ، كل المواجهات المباشرة تنتهى بالفشل .

قال (باراك) فى حذر :

ـ إنه داخل قلعتهم .

صرخت بكل ثورتها :

ـ ولو .

فى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها صرختها ، كان (أدهم) يستقبل انقضاضة (أيجور) بلكمة كالقنبلة ، كافية لقتل ثور ، إلا أن (أيجور) أطلق زمجرة وحشية فحسب ، وواصل انقضاضته ، و(ناتاشا) تهمهم مبهورة :

ـ مدهش !!

أما (إيفان) ، فكان يحرك مسدسه ، مع حركة (أدهم) و(أيجور) ، وقد أدهشته تلك السرعة المدهشة ، والمرونة الفائقة ، التى يتحرّك بها (أدهم) ...

كان (أيجور) يحاول تطويقه بذراعيه ، وكلما أوشك على هذا ، خُيل إليه أن (أدهم) قد تلاشى فجأة من أمامه ، وبرز من خلفه ، ليلكمه بقبضة فولاذية ، فى مؤخرة عنقه ...

وكم شعر (كوالسكى) بالتوتر ، وهو يتابع هذا ...

فلقد اختار (أيجور) لمواصفاته الخاصة جدًّا ...

لقد كان مصارعًا ...

بل أقوى مصارع ، عرفه الاتحاد السوفيتى ...

لم يخسر مباراة واحدة فى حياته ، حتى إنهم أطلقوا عليه لقب (الوحش المنتصر) ...

عضلاته قادرة على اعتصار صدر ثور ...

وقبضته تحطِّم جدارًا من حجر ، بسمك عشرين سنتيمترًا ...

وفى كل مواجهاته ، كان (أيجور) محافظًا على لقبه ...

الوحش المنتصر ...

دومًا ...

إلا فى هذه المواجهة !!...

إنه لم ينجح فى القبض على (أدهم) ، الذى يتحرك فى سرعة مذهلة ، ويقفز من مكان إلى آخر ، كما لو كان مشهدًا من فيلم سينمائى ، يدور بالسرعة القصوى ...

ولكماته المتتالية ، لمؤخرة عنق (أيجور) ، بدأت تفقد هذا الأخير توازنه ...

لقد بدأ يترنَّح ...

ويتخبَّط ...

ولأول مرة ... يلهث ...

ولكن أكثر ما أثار توتر (كوالسكى) هو تلك الكلمة ، التى أرسلتها (سونيا) إلى شاشة جهازه ، لتملأ الشاشة كلها ...

(خطأ) ...

كلمة واحدة ، فجَّرت فى أعماقه كل قلق الدنيا ...

ماذا تعنى بالكلمة ؟!...

وأى خطأ ارتكبه ؟!...

أى خطأ ؟!...

راحت (ناتاشا) تلهث فى انفعال ، وكأن ما تراه أمامها يثير مشاعرها فى شدة ، فى حين هتف (إيفان) ، عندما لاحظ تخاذل (أيجور) ، وبطء حركاته النسبى :

ـ أيها الزعيم .

لم يدر (كوالسكى) بم يأمره ، وخاصة عندما توقف (أدهم) عن لكم مؤخرة عنق (أيجور) ، وبدأ يوجه إليه لكمات قوية سريعة ، فى أنفه وفكه وحنجرته ، و(أيجور) يخور كالثور ، ويحاول توجيه لكمات ، تصيب الهواء طوال الوقت ...

لم يستطع توجيه لكمة واحدة إلى (أدهم) ، منذ انقض عليه ...

ولم يدر حتى لماذا ؟!...

وأخيرًا لم يعد يدرى أى شىء ...

لقد ترنَّح للمرة الأخيرة ، قبل أن يهوى إلى الخلف ...

ولكن (أدهم) جذبه إليه مرة أخرى ، ثم دفعه بكل قوته نحو (إيفان) ، ليرتطم به ، ويسقط الاثنان أرضًا ...

وفى عنف ، سقط (إيفان) أرضًا ، وسقط (أيجور) فوقه ، فدفعه عنه فى صعوبة ، وحاول التقاط مسدسه ، عندما سمع (أدهم) يقول فى سخرية :

ـ لا تبحث ... إنه معى .

شعر بتوتر شديد ، عندما رأى مسدسه فى قبضة (أدهم) ، يصوبه إلى رأس (كوالسكى) ، وهو يقول :

ـ خيبت توقعاتى يا (فيكتور) .

التمعت عينا (ناتاشا) ، وراحت تلهث فى انفعال ، وهى تقول :

ـ رائع ... رائع جدًّا .

رمقها (كوالسكى) بنظرة قاسية ، وهو يقول فى غل :

ـ لن يمكنك الخروج من هنا حيًّا يا مستر (صبرى) .

أشار (أدهم) إلى زر صغير ، على سطح مكتب (كوالسكى) :

ـ لماذا لم تضغط هذا الزر ؟!...

وابتسم فى سخرية :

ـ هناك عملاقان مسلحان ، يقفان أمام باب مكتبك ، وعلى الرغم من عنف صراعى ، مع وحشك الضخم ، لم يحاولا التدخل ، وهذا يعنى أن جدران مكتبك عازلة للصوت .

غمغم (كوالسكى) فى حنق :

ـ أنت أذكى مما توقعت .

همهمت (ناتاشا) :

ـ وأكثر وسامة .

تجاهلها (كوالسكى) هذه المرة ، وهو يقول فى حدة :

ـ مازال يمكننى الضغط عليه ...

هوى (أدهم) بكعب مسدس (إيفان) على الزر ، محطمًا قاعدته ، قبل أن يقول فى سخرية :

ـ لست أعتقد هذا .

ضم (كوالسكى) شفتيه ، لحظات فى غيظ ، ثم تطلع إلى (إيفان) ، وهو يقول فى بطء :

ـ (سونيا) تؤكد أنك لا تميل للقتل .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ إلا إذا اقتضت الحاجة .

قال (كوالسكى) فى حدة :

ـ قل ما شئت أيها المصرى ، فما ستقوله لن يحمله حتى شاهد قبرك .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ وماذا عن شاهد قبرك أنت ؟!

ضغط (أدهم) زرًّا فى ساعته ، و(كوالسكى) يقول فى غضب :

ـ أنت من لن يغادر هذا المكان حيًّا .

تطلع إليه (أدهم) لحظات ، قبل أن يقول :

ـ مشكلتك يا زعيم الحمقى ، أنك صممت كل شىء ، بحيث تمنع أى مخلوق من دخول قلعتك فحسب .

أشارت (ناتاشا) بسبَّابتها :

ـ كثيرًا ما قلت له هذا .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلًا :

ـ لم تضع فى حسبانك ، فكرة منع أى شخص ، من الخروج منها .

لم يكد يتم عبارته ، حتى وثب (إيفان) فجأة إلى الخلف ، مرتطمًا بباب حجرة المكتب ، بكل ما يملك من قوة ، فارتج الباب فى عنف ، على نحو جعل الحارسان يندفعان إلى المكتب ، وهما يشهران سلاحيهما ...

فى نفس اللحظة ، كانت (منى) ، فى زى أشبه بجنود الصاعقة ، ترقد أرضًا ، مصوبة جهاز تحكم عن بعد ، إلى برج الكهرباء الرئيسى ، الذى يغذى قلعة (كوال سكى) كلها ...

وبمنتهى العنف ، دوى الانفجار ...

وفى نفس اللحظة ، التى شهر فيها الحارسان مدفعيهما ، دوى الانفجار ، وانقطع التيار الكهربى ، وغرقت قلعة (كوالسكى) ، وكل المحيط بها ، فى ظلام دامس ...

وفى نفس اللحظة أيضًا ، دوت عدة رصاصات فى المكان ، ممتزجة بصرخات (ناتاشا) ، وصوت تحطّم زجاج ...

وبكل غضبه ، هتف (كوالسكى) :

ـ المولد الاحتياطى فى القبو ، سيعمل خلال ثلاثين ثانية .

مع هتافه ، كانت بالونات (قدرى) تعبر أسوار القلعة ، على ارتفاع كبير ، ثم تنفجر واحدة بعد الأخرى ، لتسقط منها زجاجات صغيرة ، لم تكد ترتطم بالحديقة ، حتى دوت انفجارات أخرى ، وانطلقت كمية كبيرة من أدخنة ، ذات رائحة نفاذة ، على نحو أثار الهرج والمرج ، وسط رجال الحراسة ، وأفسد أنوف الكلاب ...

ثم ارتفع هدير مروحة هليوكوبتر ، انقضت على حديقة القلعة ، يتدلى منها سلم أحبال طويل للغاية ...

وسط الهرج والمرج فى الحديقة ، بدا وقع أقدام تعدو ، على نحو سريع منتظم ، فأسرع (كوالسكى) يطل من نافذة حجرة مكتبه صارخًا :

ـ أطلقوا النار ... أطلقوا النار .

دوت مع هتافه فرقعة مكتومة ، تعلن بدء عمل المولد الاحتياطى ، ومع سطوع الأضواء مرة أخرى ، وعلى الرغم من الأدخنة ، ذات الرائحة النفّاذة ، التى مازالت تغمر الحديقة ، بدا المشهد واضحًا ...

مشهد تلك الهليوكوبتر تبتعد ، وفى نهاية سلم الأحبال ، المتدلى منها ، تعلق (أدهم) ، متجاوزًا أسوار القلعة ...

القلعة التى كانت أكثر قلاع العصر مناعة ...

حتى ذلك اليوم ...

***

« ساعة ونصل إلى (كييف) ... »

قالها (باراك) مع تثاؤب ، جعل (سونيا) تغمغم فى شرود :

ـ أعلم هذا .

التفت إليها ، وهى تجلس على المقعد المجاور له فى الطائرة :

ـ فيم تفكرين ؟!

أجابته بنفس الشرود :

ـ لماذا ؟!

غمغم فى حيرة :

ـ لماذا ماذا ؟!

لم تلتفت إليه ، وهى تقول ، وكأنها تحدث نفسها :

ـ وفقًا لحديث (أدهم) مع (فيكتور) ، كان يعلم أنه فخ ، ولقد أعدَّ خطة مسبقة للخروج منه ، فلماذا ذهب إليه بقدميه من الأساس ؟!

غمغم (باراك) :

ـ غروره دفعه إلى هذا .

لوَّحت بسبَّابتها :

ـ على الرغم من كل قدرات (أدهم) ومواهبه ، فهو ليس مغرورًا ... والأهم أنه ليس ممن يخطون خطوة عشوائية ، دون حسابات مسبقة .

بدأ فى التفكير بدوره :

ـ نعم ... بدليل أن خطة خروجه من القلعة كانت دقيقة ، ومرتَّبة مسبقًا .

قالت فى تفكير عميق :

ـ لماذا إذن ؟!

اكتفى بهز كتفيه دون جواب ، فتابعت :

ـ (أدهم) له هدف آخر ، من كل ما حدث ؟!

سألها فى حذر :

ـ مثل ماذا ؟!

استغرقت فى التفكير طويلًا ، ثم هزَّت رأسها مغمغمة :

ـ لو علمت ، لما أصابتنى كل هذه الحيرة !!

غمغم (باراك) :

ـ أنت على حق ... لقد غامر بدخول قلعة (كوالسكى) المنيعة ، وهو يعلم أن أمره مكشوف ، وغادرها دون أن يفوز بأى شىء ، فلماذا ؟!

تمتمت (سونيا) :

ـ نعم ... لماذا يا (أدهم) ؟!... لماذا ؟!

اكتفت بالقول ، ولكن السؤال ظل ينهش صدرها ...

لماذا ؟!...

لماذا ؟!.

***

4 ـ الخطوة الثانية ..

تثاءب (قدرى) فى عمق ، وحملت شفتاه ابتسامة مرهقة ، وهو يسبل جفنيه ، مغمغمًا :

ـ هذا المنزل الآمن مؤثث جيدًا ، أفضل من الفندق الذى كنا فيه بالتأكيد .

ابتسم (أدهم) دون تعليق ، فى حين غمغمت (منى) :

ـ لم نسدد إيجارات الفندق .

أجابها (أدهم) وهو ينزع دبوس صدره فى عناية :

ـ لم يكن بإمكاننا هذا .

التفتت إليه بنظرة متسائلة ، جعلته يتابع :

ـ لا يمكننا ترك ثغرة واحدة هذه المرة .

وضع دبوس الصدر ، فى حرص شديد ، على مائدة صغيرة ، مستطردًا :

ـ لو عدنا إلى الفندق ، كنا سنجد رجال (كوالسكى) فى انتظارنا ، وأية بطاقة ائتمانية يمكن تعقبها .

غمغمت ، مشيحة بوجهها :

ـ لم نفعل هذا أبدًا من قبل ...

انتزع قفازين مطاطين شديدى الرقة عن كفيه ، وهو يقول :

ـ فيما بعد ، وعندما تنتهى هذه العملية ، سنسدد المبلغ بالتأكيد .

وضع القفازين بنفس الحرص الشديد ، إلى جوار دبوس الصدر ، مضيفًا :

ـ لو كنا على قيد الحياة .

التفتت إليه فى حركة حادة ، وانفرجت شفتاها ، وكأنها تهم بقول شىء ما ، ثم لم تلبث أن أطبقتهما فى صمت ، فى حين اعتدل هو ، واتجهت لهجته من المودة إلى الحزم :

ـ اذهبى إلى حجرتك ، واحظى بقدر من النوم ، فغدًا مباشرة ، ستبدأ الخطوة الثانية من الخطة .

ثم أشار إلى (قدرى) مع ابتسامة كبيرة :

ـ لقد سبقك (قدرى) ، منذ عدة دقائق .

التفتت إلى (قدرى) ، الغارق فى سبات عميق على مقعده ، ولم تتمالك نفسها من الابتسام المشفق ...

كانوا جميعًا بحاجة قوية إلى النوم العميق ...

العميق جدًّا ...

***

« لم نعثر له على أدنى أثر ... »

قالها (إيفان) فى برود ، يمتزج بلمحة من التوتر ، فاحتقن وجه (كوالسكى) فى شدة ، وضرب سطح مكتبه بقبضته ، صائحًا :

ـ كيف ؟!... نصف رجال الشرطة هنا يعملون لحسابنا ، والنصف الآخر يخشى مواجهتنا ، وعيوننا موزعة فى كل شارع وكل ركن ، فكيف يعجز كل هذا عن إيجاد رجل واحد ؟!

أجابه (إيفان) على الفور :

ـ لم يصل إلى (كييف) أى شخص يحمل اسم (أدهم صبرى) .

زمجر (كوالسكى) :

ــ لم يصل إلى هنا حتمًا باسمه الحقيقى .

أشار (إيفان) بسبَّابته :

ــ استخدمنا برنامجًا متطورًا ، لدراسة ملامح الوجوه ، وغذيناه بكل صورة ، سجلتها كاميراتنا للرجل ، بعد أن نزع قناع (جولدمان) ، وراجعنا هذا على كل كاميرات المرور فى المدينة ، ولم يسفر هذا عن شىء .

ازداد انعقاد حاجبى (كوالسكى) :

ــ ربما ارتدى قناعًا آخر .

هزَّ (إيفان) رأسه :

ــ لا يمكن أن ...

قاطعه (كوالسكى) بزمجرة أخرى :

ــ عظام وجه (جولدمان) ، كانت تختلف تمامًا فى تكوينها ، عن عظام وجهه ، وعلى الرغم من هذا ، كان قناعه متقنًا على نحو مذهل .

دخل أحد حارسى الباب ، فى هذه اللحظة ، وهو يغمغم :

ــ ضيفتك وصلت أيها الزعيم .

حمل وجه (كوالسكى) حماسًا انفعاليًّا ، وهو يشير بيده :

ــ دعها تدخل فورًا .

تعالى وقع كعب حذاء أنثوى ، قبل أن تطل (سونيا) عليه بوجهها الفاتن ، قائلة فى أرستقراطية مخيفة :

ــ مرحبًا يا (فيكتور) .

وخفق قلب (فيكتور كوالسكى) ...

وخفق ...

وخفق ...

***

تسلَّل شعور غريب إلى قلب (منى) ، وهى تتطلع إلى (أدهم) متسائلة :

ــ أكنت واثقًا من أنها هى ؟!

ارتشف (أدهم) رشفة من كوب الشاى الصباحى ، الخالى من السكر ، قبل أن يجيب :

ــ (سونيا) وحدها تتبع منهج الشرطة الفرنسية القديمة ، فى القرن التاسع عشر ، عندما كانت وسيلة التعرف على المجرمين ، هى بصمة الأذن ... وعندما تمكن (كوالسكى) من اختراق قناعى ، وكشف حقيقة هويتى ، والدهشة الكبيرة ، التى حملها صوته ، عندما نطق اسمى ، كل هذا أنبأنى بأنه هناك طرف آخر ، الذى كشف هويتى ، وأبلغه إياها ، عن طريق شبكة الإنترنت ، ولما كان القناع يخفى وجهى كله ، فيما عدا الأذنين ، أدركت أن (سونيا جراهام) هى من كشف هويتى ، من بصمة الأذنين .

غمغمت (منى) فى قلق :

ــ دخول (سونيا) إلى الصورة ، يجعل الأمر بالغ التعقيد .

ارتشف رشفة أخرى فى هدوء :

ــ ليس إلى الحد المقلق .

خرج (قدرى) من حجرة نومه ، فى هذه اللحظة ، وهو يتثاءب :

ـ صباح الخير ... أشتم رائحة شاى .

نهضت (منى) تصب له كوبًا من الشاى ، مغمغمة :

ـ وهناك إفطار شهى أيضًا .

جلس يلتهم الإفطار ويرتشف الشاى فى نهم ، و (أدهم) يسأله فى هدوء :

ـ متى ذهبت إلى حجرة نومك ؟!

هزَّ كتفيه :

ـ ربما أسير نائمًا .

ضحكت (منى) :

ـ هذا صحيح ... لقد رأيتك تنهض من مقعدك ، وتتجه إلى حجرة نومك ، وأنت شبه نائم .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ـ هل حصلت على قدر كاف من النوم ؟!

هتف وهو يلتهم قضمة كبيرة :

ـ بالتأكيد ... أشعر بنشاط كبير .

قال (أدهم) :

ـ عظيم ... لأنه لديك الكثير من العمل اليوم .

ثم أشار إلى منضدة قريبة :

ـ ستجد كل المعدات المطلوبة .

لوَّح (قدرى) بأصابعه :

ـ لدى هنا كل الأدوات المطلوبة .

قال (أدهم) فى جدية :

ـ ابدأ العمل بعد الإفطار مباشرة إذن .

ونهض مشيرًا إلى (منى) :

ـ ونحن سنبدأ عملنا أيضًا .

تبعته (منى) إلى مائدة أخرى ، وهى تسأل فى اهتمام :

ـ الخطوة الثانية ؟!

أجابها فى حزم :

ـ والأهم .

وكانت البداية ...

الفعلية ...

***

« وأين (جولدمان) الآن ؟!... »

ألقت (سونيا) سؤالها فى اهتمام ، فأجابها (كوالسكى) ملوِّحًا بكفه :

ـ فى جناح (آلان رونيه) المزعوم ، كما أخبرنا (صبرى) هذا تمامًا .

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ هذا لا يجيب سؤالى .

تراجع فى مقعده :

ـ فى المستشفى التابع لنا ... سيستعيد حيويته بعد أقل من عشرين ساعة ، كما أكَّد الأطباء .

سألته :

ـ وماذا عن حراسته ؟

أجاب فى سرعة :

ـ اثنان من المحترفين المسلحين ، لا يفارقان باب حجرته لحظة واحدة .

فوجئ بها تضرب سطح مكتبها براحتها :

ـ غير كاف .

بدا التوتر فى صوته :

ـ هناك حارس ثالث ، أسفل نافذة حجرته ، ورابع على السطح ، و ...!

قاطعته ، وهى تضرب سطح المكتب براحتها ، فى عنف أكبر :

ـ خطأ .

ثم هتفت فى حدة :

ـ لابد من وجود حارسين فى حجرته ، يراقبانه شخصيًّا طوال الوقت .

غمغم :

ـ لا يوجد أى سبيل للوصول إليه .

أشعلت سيجارتها ، وهى تقول فى لهجة استفزازية :

ـ سمعت هذا القول من قبل ، عن قلعتك هذه .

انعقد حاجباه فى شدة غاضبة :

ـ لقد جئنا به بإرادتنا .

نفثت دخان سيجارتها فى بطء ، وهى تقول فى لهجة أكثر استفزازًا :

ـ وماذا عن خروجه من هنا ؟!

ران عليهما الصمت لحظات ، وهو يرمقها بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ ماذا تريدين يا سونيا ؟!

أجابت فى سرعة وحزم :

ـ أريد معرفة لماذا أتى ؟!

قال فى حدة :

ـ غروره دفعه إلى هذا .

نفثت دخان سيجارتها فى قوة ، وأدارت عينيها إليه فى صرامة :

ـ ليس (أدهم صبرى) .

رمقها لحظات أخرى ، ثم قال فى لهجة متحدية مستفزة :

ـ يقولون إنك ، وعلى الرغم من عدائك له ، واقعة فى حبه .

صمتت طويلًا هذه المرة ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، قبل أن تلقى بقاياها أرضًا ، وتسحقها بقدمها ، ثم تلتفت إليه :

ـ فى مهنتنا ، العاطفة دومًا تنزاح جانبًا أمام العمل .

غمغم :

ـ حقًّا ؟!

استفزها قوله ، فأشعلت سيجارة أخرى ، وأشاحت بوجهها عنه ، وهى تقول فى صرامة :

ـ هل فحصت مكتبك جيدًا يا (فيكتور) ؟!

سألها فى توتر :

ـ ماذا تعنين ؟!

هزَّت رأسها :

ـ أحاول إجابة السؤال .

ثم التفتت إليه :

ـ لماذا جاء (أدهم) إلى هنا ، وهو علم أن أمره قد انكشف ؟!

تفجَّر السؤال على نحو عنيف ، فى رأسه هذه المرة ...

نعم ... لماذا خاطر (أدهم) بالمجىء ، وهو على ثقة ، من أن أمره قد انكشف ؟!

لماذا ؟!...

لماذا ؟!...

* * *

ضاقت عينا (سيرجى كوربوف) أكثر ، وهو يتطلع عبر نافذة المركز العلمى الروسى ، إلى شوارع (كييف) ، وبدا صوته صارمًا قاسيًا باردًا ، وهو يقول فى بطء :

ـ أعد ما قصصته على مسامعى مرة أخرى .

ازدرد مندوب المخابرات لعابه ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ رجالنا رصدوا عدة انفجارات ، داخل قلعة (كواليسكى) ، ودوى طلقات رصاص عنيف ، ثم فرَّ أحدهم من الحديقة المحيطة بالقلعة ، بوساطة هليوكوبتر ، يتدلى منها سلم أحبال طويل .

غمغم (كوربوف) فى لهجة من يعجز عن التصديق :

ـ فرَّ من قلعة (كوالسكى) .

صمت طويلًا ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ هل التقطوا بعض الصور ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ الكثير منها ؛ باستخدام أفلام الأشعة دون الحمراء ، ولكن معظمها غير واضح .

سأله فى صرامة :

ـ معظمها أم كلها ؟!...

انكمش الرجل ، مغمغمًا :

ـ هناك بعض الصور ...

قاطعه فى صرامة :

ـ أريدها كلها .

اندفع الرجل لتلبية الأمر ، وهو يهتف :

ـ فورًا يا كولونيل ... فورًا .

ظلَّ (كوربوف) يتطلع عبر النافذة لحظات فى صمت ، ثم تمتم لنفسه :

ـ إنه هو ... لا يمكن أن يكون سواه .

رفع رأسه ، مضيفًا فى حزم :

ـ إنه هنا .

وفى أعماق تلافيف مخه ، كانت تدور عاصفة ...

عاصفة من ألف فكرة ...

بل من ألف ألف فكرة ...

* * *

« ها هو ذا ... »

نطقتها (سونيا) فى ظفر ، وهى تمسك شيئًا صغيرًا ، أشبه بزر قميص ، فمالت (ناتاشا) تتطلّع إليه فى شغف ، متسائلة :

ـ ما هذا ؟!

التفتت إليها (سونيا) فى ازدراء ، ثم التفتت إلى (كوالسكى) فى صرامة :

ـ ماذا تفعل (باربى) هذه هنا ؟!

هتفت (ناتاشا) فى غضب :

ـ اسمى (ناتاشا) .

تجاهلتها (سونيا) تمامًا ، وهى تتطلع فى صرامة إلى (كوالسكى) ، الذى غمغم فى عصبية :

ـ اذهبى إلى حجرتنا يا (ناتاشا) .

غمغمت فى غضب مستنكر :

ـ كنت أساعدكم فى البحث .

تحوّل قوله إلى صرخة محدودة :

ـ اذهبى .

همهمت بكلمات غاضبة ، وهى تغادر المكان ، فى حين رفعت (سونيا) ذلك الشىء الصغير ، أمام عينى (كوالسكى) ، قائلة :

ـ إنه جهاز تنصت دقيق ، غرسه (أدهم) أسفل حافة مكتبك .

تطلع إليه فى عصبية ، قبل أن يشير إلى (إيفان) :

ـ أريد معرفة مداه ، وقدرته على نقل الصوت .

التقطه (إيفان) قائلًا :

ـ فورًا أيها الزعيم :

عاد إلى خلف مكتبه ، وسونيا تقول :

ـ المهم ما يمكن أن يكون قد حصل عليه من معلومات .

قال فى صرامة :

ـ لم يحصل على شىء .

كان من الواضح أن نجاح شخص ، فى الهروب من قلعته ، التى كان يزهو بمناعتها ، قد أغضبه فى شدة ، حتى إن (سونيا) لم تشأ الضغط على هذه النقطة ، أكثر مما ينبغى ، فجلست على المقعد المقابل لمكتبه ، قائلة :

ـ إنهم ثلاثة .

التفت إليها فى حركة حادة ، ولكنها تابعت :

ـ البالونات كان يقودها شخص ما ، عبر جهاز تحكم عن بعد ، والهليكوبتر قادها شخص ثان ... إنهم ثلاثة .

تراجع فى مقعده ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ ثلاثة ؟!

أشارت إلى رأسها :

ـ وفى ذهنى ثلاثة بعينهم .

مال نحوها ، متسائلًا فى لهفة :

ـ تعرفينهم ؟!

أشعلت سيجارتها فى بطء :

ـ يبدو لى هذا .

سألها فى انفعال :

ـ من هم ؟!

نفثت دخان سيجارتها فى بطء شديد ، ثم التفتت إليه :

ـ الفريق المعتاد .

وتضاعفت عصبيته ، لأنه لم يفهم ما تعنيه ...

أبدًا ...

***

« سيقلبون (كييف) كلها ، بحثًا عنا ... »

قالها (أدهم) فى هدوء ، وهو يحكم وضع قناعه على وجهه ، فغمغم (قدرى) ، وهو منهمك فى عمل شديد الدقة :

ـ عنك وليس عنا .

قالت (منى) ، وهى تثبت باروكة شقراء على رأسها :

ـ بل عنا يا (قدرى) ... إنهم ليسوا أغبياء ... سيدركون على الفور أن هناك ثلاثة ، اشتركوا فى تنفيذ عملية الهروب من قلعة (كوالسكى) .

رفع عينيه فى قلق :

ـ حقًّا ؟!

أشار إليه (أدهم) :

ـ واصل عملك ، ولا تشغل نفسك بهذا ... إنك لن تغادر المنزل الآمن ، فى هذه المرحلة .

لوَّح (قدرى) بيده ، وهو يرفع عينيه ، عن الميكروسكوب الصغير أمامه :

ـ وفى كل المراحل .

ابتسم (أدهم) ، فى حين قالت (منى) :

ـ أشتم رائحة غرور يولد .

اتسعت ابتسامة (أدهم) :

ـ إنه هكذا دومًا .

ثم اتجه نحو الباب مستطردًا :

ـ ولكنه لم يصب يومًا بالغرور .

سألته ، وهى تتبعه :

ـ ماذا تسمى هذا إذن ؟!

أشار بيده :

ـ مزاح .

ومع إغلاقهما الباب خلفهما ، انطلقت ضحكة (قدرى) مجلجلة ، قبل أن يعود إلى عمله بالغ الدقة ، مغمغمًا فى مرح :

ـ ستكون هذه أقوى ضربة تلقيتها فى حياتك أيها الـ(كوالسكى) .

فى نفس اللحظة التى نطقها ، كانت (سونيا) تعرض صور (أدهم) و(منى) و(قدرى) على شاشة لاب توب (كوالسكى) ، وهى تقول :

ـ ها هم أولاء ... (أدهم صبرى) ، الذى التقيت به ، ولن تنسى تجربتك معه أبدًا .

زمجر (كوالسكى) معترضًا ، ولكنها تابعت ، دون أن تتوقف عند هذا :

ـ و(منى توفيق) ... زميلته ، ورفيقته ، ونقطة ضعفه الكبرى .

غمغم فى اهتمام :

ـ يحبها ؟!

حمل صوتها شيئًا من الغيظ ، ولمحة من الغيرة ، وهى تجيب :

ـ ليس هناك من شك فى هذا .

وصمتت لحظة ، ثم استدركت ، وهى تنفث عصبيتها ، مع دخان سيجارتها :

ـ ولكنهما لا يعترفان بهذا أبدًا .

تمتم :

ـ هذا شأن الأحبة .

مرة أخرى ، تجاهلت عبارته ، وهى تشير إلى صورة (قدرى) :

ـ أما هذا ، فهو (قدرى) ، الأصابع الذهبية للمخابرات المصرية ... أقوى خبير فى التزييف والتزوير ، وتقليد أى شىء فى الوجود ... عبقرية ليس لها من نظير ، وأصابع تساوى ثروات .

حدَّق فى صورة (قدرى) طويلًا ، قبل أن يقول :

ـ كيف أمكنهم الحصول على شخص مثله .

شفَّ صوتها عن عدم الرضا ، وهى تقول :

ـ إنهم بارعون ، فى هذا المضمار .

عاد يتطلع فى اهتمام بالغ إلى صور الثلاثة ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، ويداعب ذقنه بضع لحظات ، ثم يقول :

ـ ليت لدينا مثله .

غمغمت :

ـ مثلهم .

ثم أشارت إلى صورة (قدرى) ، مضيفة :

ـ وهذا سيكون مفتاحنا إليهم .

اعتدل فى حركة سريعة ، متسائلًا :

ـ كيف ؟!

أشعلت سيجارة أخرى ، قائلة :

ـ (أدهم) و(منى) لهما قوام رياضى ، يمكن أن يتشابه مع الآلاف ، أما (قدرى) ، فله تكوين جسدى ، يصعب عدم الانتباه إليه .

قال فى اهتمام :

ـ تعنين أنه علينا البحث عن هذا الضخم ؛ حتى نصل إليهم جميعًا .

أشارت بسيجارتها :

ـ بالضبط .

ضغط (كوالسكى) زر جهاز الطابعة إلى جواره ، ثم ضغط زرًّا آخر ، دلف بعده (إيفان) إلى مكتبه ، فأشار إليه فى صرامة :

ـ (إيفان) ... هناك خطة بحث جديدة .

التقط من الطابعة صورة لـ(قدرى) ، وضعها على سطح مكتبه ، فانحنى (إيفان) يلتقطها ، وقد أدرك دون كلمة إضافية ، أن هذا هو الهدف ، من خطة البحث الجديدة ...

الخطة التى ستجعل العملية أكثر صعوبة وخطرًا ...

ألف مرة .

***

5 ـ الهدف الذهبى ..

على الرغم من تحفز وانتباه رجال الحراسة الأقوياء ، أمام باب حجرة (جولدمان) فى المستشفى ، فقد جذبت تلك الممرضة الشقراء الحسناء انتباههم بالكامل ، وخفقت قلوبهم ، مع الابتسامة الساحرة ، التى منحتهم إياها ، وهى تصحب أحد الأطباء ، إلى حجرة المصاب ، حتى إن أحدهم همس لها فى شغف :

ـ متى تنتهى نوبتك ؟!

اكتفت الممرضة بضحكة رصينة قصيرة ، قبل أن تدلف مع الطبيب إلى الحجرة ...

وداخل الحجرة ، تحفز الحارسان الإضافيان ، وهما يستقبلان الطبيب وممرضته ، وسأله أحدهم فى خشونة :

ـ ماذا ستفعل هنا ؟!

رمقه الطبيب بنظرة لا مبالية ، وهو يقول :

ـ هل نسيت أنك فى مستشفى ؟!

ثم التقط لوحة العلاج ، وطالعها لحظات ، قبل أن يشير إلى ممرضته :

ـ حقنة بيتادين .

ناولته الممرضة محقنًا ، و(جولدمان) يتساءل :

ـ المفترض أن مرحلة الملاحظة قد انتهت .

وقال أحد الحارسين فى غلظة :

ـ ونحن فى انتظار المغادرة .

أجابه الطبيب ، دون أن يلتفت إليه :

ـ أعلم ... إجراءات المغادرة تمت بالفعل ، وهذا إجراء أخير ، قبل المغادرة مباشرة .

سأل الحارس الثانى :

ـ أهو ضرورى ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ هل أعطيك معطفى ؛ لتمارس الطب بدلًا منى ؟!

تراجع الحارس فى توتر ، فى حين كشف الطبيب ذراع (جولدمان) ، الذى تساءل فى توتر :

ـ هل ستؤلم ؟!

أجابه فى حزم :

ـ للحظات فحسب .

غرس إبرة المحقن فى ذراعه ، وضغطها فى بطء ، فندت من (جولدمان) آهة قصيرة ، سحب الطبيب المحقن بعدها ، مغمغمًا :

ـ سيزول الألم بعد لحظات .

ثم ألقى المحقن فى سلة المهملات الطبية ، وغادر الحجرة مع الممرضة الحسناء ، التى منحت الحراس الثلاثة فى الخارج ابتسامة مماثلة ، فهمس لها أحدهما مرة أخرى فى توتر :

ـ لم تجيبى سؤالى .

اكتفت هذه المرة أيضًا بضحكة قصيرة ، دون أى تعليق ، واستقلّت مع

الطبيب مصعد المستشفى ، فى نفس الوقت ، الذى اتجهت فيه ممرضة أخرى ، تدفع مقعدًا متحركًا ، نحو حجرة (جولدمان) ، قائلة للحراس :

ـ المصاب سيغادر الآن .

العجيب أنه ، عندما وصل المصعد إلى الطابق الأرضى ، كان الطبيب قد خلع معطفه الطبى ، ودسَّه فى حقيبة أنيقة يحملها ، مع ثياب الممرضة الشقراء ، التى سارت إلى جواره فى اعتداد ، حتى سيارة أنيقة ، استقلاها معًا ، وما أن انطلقت بهما ، حتى غمغمت هى :

ـ الخطوة الثانية مرَّت بنجاح .

غمغم :

ـ ليس بعد .

ثم أضاف ، وهو ينحرف إلى شارع صغير :

ـ مازالت لدينا نقطة ضعف كبيرة .

اعتدلت تسأله فى قلق :

ـ وما هى ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ (سونيا) .

اعتدلت تراقب الطريق ، وهى لا تستوعب بالتحديد معنى قوله ...

وتضاعف القلق فى أعماقها ...

تضاعف كثيرًا ...

***

شعـر (جولدمـان) بتوتر غيـر مسبـوق ، وهـو يجلس فى حجرة مكتب (كوالسكى) الواسعة ، متطلعًا إلى هذ الأخير ثم إلى (سونيا) ، التى غمغم وهو ينظر إليها مباشرة :

ـ تعملين لحسابك الآن يا (سونيا) .

مطَّت شفتيها الجميلتين ، وهزَّت كتفيها :

ـ يمكنك أن تقول : إن العمل فى (الموساد) لم يعد يناسبنى .

قال فى ضيق :

ـ أنت ابنة واحد ، من أقوى رجال (الموساد) ، عبر تاريخه .

قالت فى عصبية :

ـ ولقد كافأه (الموساد) على هذا التاريخ ، بعزله من الخدمة .

أجابها فى حدة :

ـ هـل نسيـت ما تورط فيـه ، فـى آخـر ثـلاث سنـوات ، قبل نقله إلى الخارجية ؟!

قبل أن تجيبه ، قاطعهما (كوالسكى) فى حدة :

ـ هل سنقضى الوقت ، فى استرجاع ذكرياتكما السخيفة ؟!

مطَّت (سونيا) شفتيها :

ـ لن نفعل ... فهذا لا معنى له .

ضرب سطح مكتبه براحته ، موجهًا بصره وحديثه إلى (جولدمان) :

ـ دعنا لا نضيع الوقت ... ماذا لديك هذه المرة يا (إيريك) ؟!

التقط (جولدمان) نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتهدئة أعصابه ، قبل أن يقول :

ـ صفقة كبيرة يا (فيكتور) .

سأله في اهتمام :

ـ كم تبلغ ؟!

التقط (جولدمان) نفسًا أكثر عمقًا ، قبل أن يجيب :

ـ نصف مليار دولار .

انعقد حاجبا (سونيا) في شدة ، عندما سمعت الرقم ، في حين ارتفع حاجبا (كوالسكي) لحظة ، ثم انخفضا ، وهو يسعل مرتين ، ثم يسأل :

ـ صفقة واحدة ؟!

أشار (جولدمان) بثلاثة أصابع :

ـ بل ثلاث يا (فيكتور) .

مال (كوالسكي) عبر مكتبه :

ـ ماذا تخططون هذه المرة يا (جولدمان) ؟!

قبل أن تنفرج شفتا (جولدمان) ، أجابت (سونيا) في صرامة :

ـ لن يخبرك .

التفت إليها (كوالسكي) و(جولدمان) معًا في انتباه ، في حين أرهف (إيفان) سمعه ، وهي تتابع :

ـ أوّل ما تعلمته ، من سنوات العمل ، أن الإفصاح عن الهدف الحقيقي لأية خطة مستحيل تمامًا ... الهدف دومًا يكون غير مباشر ، وربما توحي الخطوات بعكسه تمامًا .

غمغم (جولدمان) في توتر :

ـ لا داعي للتظاهر بالذكاء .

أشعلت سيجارتها مغمغمة :

ـ حقًّا .

ثم مالت إلى الأمام ، تنفث دخانها في وجه (جولدمان) مستطردة :

ـ أستطيع أن أراهن مثلًا أن هناك صفقتي سلاح ، موجهتان إلى تنظيمين إرهابيين مختلفين ، في الشرق الأوسط .

انعقد حاجبا (جولدمان) ، في حين سأل (كوالسكي) في شغف :

ـ وماذا عن الثالثة ؟!

اعتدلت ملوحة بكفها :

ـ للفلسطينيين .

ازداد انعقاد حاجبي (جولدمان) ، و(كوالسكي) يهتف :

ـ مستحيل !

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته :

ـ هل يمكن أن يموّل الإسرائيليون ، صفقة سلاح للفصائل الفلسطينية ؟!

حملت شفتاها ابتسامة خبيثة ، وهي تغمغم :

ـ ليست أوّل مرة ، يحدث فيها هذا .

غمغم (جولدمان) في حدة :

ـ لا تتحدثي بما تجهلينه يا (سونيا) .

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى في ثقة ، و (كوالسكي) يهتف :

ـ بم يفيد الإسرائيليون ، من منح السلاح لأعدائهم ؟!

هزّت كتفيها :

ـ سيجمعون أكبر قدر من المعلومات ، عن كيفية تهريب السلاح إليهم ، وعن الوسطاء ، الذين يتولون هذا .

جاء دور (جولدمان) ، ليضرب سطح المكتب بقبضته ، هاتفًا :

ـ كفى يا (سونيا) .

رن هاتف (إيفان) فى هذه اللحظة ، و (كوالسكى) يغمغم :

ـ هل عصبيتك هذه ، دليل على صحة قول (سونيا) يا (إيريك) ؟!...

التفت إليه بمنتهى الحدة :

ـ ليس هذا من شأنك .

احتقن وجه (كوالسكى) ، وقبل أن ينطق بكلمة ، هتف (إيفان) :

ـ عثروا على الهدف .

وهنا التفت الكل إليه ، وقال (كوالسكى) فى انفعال :

ـ وماذا تنتظرون ؟!

ودون انتظار لثانية واحدة ، اندفع (إيفان) لاقتناص الهدف ...

أضخم هدف فى العملية ...

(قدرى) ...

***

انهمك (قدرى) تمامًا ، فى عمله بالغ الدقة ، وراحت أصبعه الذهبية تضع اللمسات الأخيرة له ، وهو يعمل بوساطة الميكروسكوب ، قبل أن يرفع عينيه ، ويدعكهما فى قوة ، ثم يغمغم :

ـ أظن هذه التحفة أقوى إبداعاتك يا (قدرى) .

تثاءب فى إرهاق ، وهو يلتقط ذلك القفاز المطاطى ، الذى تركه (أدهم) مستطردًا :

ـ والآن إلى التحفة الثانية .

تثاءب مرة أخرى ، وربَّت على كرشه الضخم ، وهو يغمغم :

ـ ولكن الآلة تحتاج إلى الوقود .

نهض إلى البراد ، وفتحه متمتمًا :

ـ ترى هل وضعت هذا فى اعتبارك ، يا عزيزتى (منى) ؟!

انفرجت أساريره ، عندما شاهد البراد مكدسًا بالأطعمة ، وهتف متهللاً :

ـ يالك من صديقة مخلصة !

انهمك لدقيقتين أو يزيد ، فى صنع كومة من الشطائر الباردة ، حملها إلى المائدة ، التى يعمل عليها ، وراح يلتهمها فى نهم ، ثم تراجع فى مقعده ، وربَّت مرة أخرى على كرشه الضخم ، وهو يقول :

ـ وجبة كهذه ، كانت تحتاج إلى قليل من التمشية للهضم .

دارت الفكرة فى رأسه بعض الوقت ، وتطلع إلى ذلك القفاز المطاطى ، ثم إلى الباب ، وهو يحاول اتخاذ قراره ...

ويحاول ...

ويحاول ...

***

« إنه هو ولا شك ... »

نطقها أحد رجال (كوالسكى) ، وهو يخفض منظارًا مقرَّبًا عن عينه ، مشيرًا

إلى ذلك الضخم البدين ، الذى يسير الهوينا فى أحد شوارع (كييف) الرئيسية ، متطلعًا إلى واجهات المحال ، فانعقد حاجبا (إيفان) ، وغمغم :

ـ أريد تأكيدًا .

استخدم هاتفه المحمول المزوَّد بعدسة إضافية ، للتصوير عن بعد ، فى التقاط صورة للبدين ، تطلع إليها لحظات ، وقارنها بصورة الطابعة ، فغمغم الرجل معه :

ـ هو ولا شك .

لم يكتف (إيفان) بالقول ، وإنما ضغط أزرار هاتفه فى سرعة ، لينقل الصورة إلى هاتف (كوالسكى) ، الذى لم يكد يستقبلها ، حتى أدار واجهة هاتفه إلى (سونيا) ، التى نفثت دخان سيجارتها فى انفعال ، مغمغمة :

ـ إنه هو .

نقل (كوالسكى) قولها إلى (إيفان) ، الذى أعاد هاتفه إلى جيبه ، قائلًا فى صرامة باردة :

ـ ابدأ .

قالها ، ووثب مع الرجل إلى سيارة (فان) كبيرة ، انطلقت بهما مباشرة نحو ذلك الضخم ، وما أن صارت بمحاذاته ، حتى توقفت دفعة واحدة ، وقفز منها (إيفان) مع رجلين ، صوَّب أحدهما مسدسًا إلى رأس الضخم ، فى حين دفعه الآخر نحو الفان ، و (إيفان) يقول فى برود وحشى :

ـ سنطلق النار ، مع أوَّل بادرة للمقاومة يا (قدرى) .

تركهما يدفعانه نحو الفان ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ هناك خطأ ما حتمًا .

دفعه الاثنان داخل السيارة ، ووثب حامل المسدس إلى جواره ، وعاد يصوبه إلى رأسه ، وانطلقت السيارة على الفور ...

وعلى الرغم من الموقف ، بدا الضخم هادئًا إلى حد كبير ، مما أصاب (إيفان) بالشك ، فسأله فى صرامة :

ـ أنت (قدرى) ... أليس كذلك ؟!

أجابه الضخم :

ـ لم أعلم أننى شهير إلى هذا الحد .

كانت (الفان) تنحرف ، من الطريق الرئيسى إلى طرق فرعية ، فجذب (إيفان) الضخم إليه فى قسوة ، وهو يسأله :

ـ لماذا تبدو هادئًا هكذا ؟!

ألقى الضخم نظرة حوله ، قبل أن يجيب بابتسامة هادئة ، أكثر مما ينبغى :

ـ ربما لأن الخطة تسير على ما يرام .

قبل حتى أن ينعقد حاجبا (إيفان) ، اكتسب ذلك الضخم رشاقة مدهشة ، ومرونة لا تتناسب مع حجمه أبدًا ، وهو يضرب اليد الممسكة بالمسدس ، ثم يلكم صاحبها بكل قوته ؛ ليلقيه إلى نهاية (الفان) ، ثم يجذب (إيفان) لديه ، هاتفًا ، فى صوت مختلف تمامًا :

ـ التقينا مرة أخرى أيها الوغد .

هوت لكمته على فك (إيفان) كالقنبلة قبل أن يدفع قدميه فى صدره ، ويميل ليلقى به فوق سائق الفان ، التى انحرفت فى شدة ، وارتطمت بحافة الإفريز فى قوة ، حتى كادت تنقلب ...

وعندما توقفت أخيرًا ، كان يدور داخلها قتال شرس ...

شرس ووحشى ...

للغاية ...

***

لم يكن (قدرى) قد اتخذ قراره بعد ، عندما سمع المفتاح يدور فى ثقب الباب ، فتحفزت مشاعره كلها ، والتفت إلى الباب ، الذى دلفت عبره (منى) ، ولوَّحت له ، قائلة :

ـ اشتقت لك يا (قدرى) .

سألها فى اهتمام :

ـ أين (أدهم) .

جلست على مقعد قريب ، مجيبة :

ـ اختطفه رجال (كوالسكى) .

فغر فاه ، وهو يحدق فيها ، غير مصدق اللهجة الهادئة ، التى نطقت فيها هذه العبارة المخيفة ، ولكنه فوجئ بها تبتسم ، وهى تضيف :

ـ فى هيئتك .

سألها على الفور :

ـ هيئتى أنا ؟!

أشارت بيدها :

ـ كان يعلم أنه ، مادامت (سونيا) قد انضمَّت إلى الأعداء ، وتتعامل

معهم ، فهى ستدرك على الفور أن الثلاثة الذين نفذوا عملية الهروب ، من قلعة (كوالسكى) ، هم نحن ... (أدهم) وأنت وأنا .

سرى التوتر فى جسده ، وهو يجلس أمامها ، مغمغمًا :

ـ حقًّا ؟!

تابعت فى هدوء :

ـ وهى ستدرك حتمًا ، أن البحث عنى أو عنه عسير ؛ لأننا يمكن أن نذوب وسط الجميع ، إذا ما كان تنكرنا مناسبًا ، أما أنت ..

لم تكمل عبارتها ، ولكنه أدرك ما تعنيه ، فغمغم :

ـ أنا مميز .

اعتدلت قائلة :

ـ بالضبط .

هزَّ رأسه ، وهو يسألها :

ـ ولكننى يمكن أن أبقى هنا ، حتى نهاية العملية ، فلماذا ...

هو أيضًا لم يكمل عبارته ، ولكن (منى) فهمتها ، مالت نحوه ، مجيبة :

ـ تحطيم إرادة الخصم ، واستفزازه ، ودفعه للقيام بخطوات غير محسوبة ، وعندئذ ...

قاطعها هذه المرة فى سرعة :

ـ يأتى دورى .

ثم أشار إلى المنضدة ، التى تحمل الميكروسكوب ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

ـ ودور تحفى .

ابتسمت مرة أخرى ، على الرغم من أن ذهنها كان منشغلًا للغاية ، بالتساؤل عن موقف (أدهم) الآن ...

وهل سيسير الأمر كما خطَّط وتوقع ؟!...

هل ؟!...

***

على الرغم من بروده المعتاد ، بدا الغيظ واضحًا ، فى صوت ولهجة (إيفان) ، وهو يقاوم قيوده ، مغمغمًا :

ـ يستحيل أن تفلت بهذا ، مادمت داخل حدود (كرواتيا) .

أجابه (أدهم) بابتسامة ساخرة :

ـ اترك لى القلق بشأن هذا .

قاوم قيوده ، فى شىء من العصبية ، وهو يقول :

ـ لست أنكر أن تنكُّرك كان متقنًا ، وكان ينبغى أن أنتبه إلى هذا ، عندما لاحظت أن وزنك لا يتناسب مع حجمك .

أجابه (أدهم) ، وهو يضع شريطًا لاصقًا على فمه :

ـ ولكنك لم تفعل .

تركه مقيدًا ومقيدًا ، إلى جوار رجليه ، فى ركن ذلك المخزن الصغير ، واتجه إلى (الفان) ، وأخرج من ذلك الكرش الصناعى ، الذى كان يرتديه ، عدة أدوات إليكترونية ، وشاشة رقمية ، أشبه بتلفاز صغير ، وراح يعمل على (الفان) فى همة ، جعلت (إيفان) يتساءل ، وهو مازال يقاوم قيوده فى استماتة ...

ترى ماذا يفعل هذا المصرى بالسيارة ؟!

وما هو هدفه مما فعل ؟!...

ما هو ؟!...

ما هو ؟!...

« (أدهم) رجل مخابرات نادر ... »

نطقتها (سونيا) فى تفكير ، جعل (جولدمان) يسألها فى توتر :

ـ لماذا هذا القول الآن ؟!

تطلعت إليه لحظات ، قبل أن تجيب فى تفكير :

ـ إدراكه أننى ضمن هذه المنظومة ، سيجعله يدرك على الفور ، أننى سأعلم ، بحكم خبرة صراعاتنا الطويلة ، من هم أفراد فريقه ، الذين ساعدوه على الفرار من هنا .

غمغم (كوالسكى) فى اهتمام :

ـ الرجال يؤكدون ، أن قائد الهليوكوبتر المستأجرة كان فتاة .

لم يبد عليها حتى إنها سمعت غمغمة (كوالسكى) ، وهى تتابع :

ـ فكيف يسمح لـ(قدرى) بالتجول فى المدينة ، وهو يدرك أنه أكثر شخص من فريقه ، يمكن تمييزه .

سألها (جولدمان) فى قلق :

ـ ماذا تعنين ؟!

أما (كوالسكى) ، فقال فى عصبية :

ـ (سونيا) ... أخشى أن يعنى حديثك ...

قاطعته فى صرامة :

ـ إنه لا يعنى شيئًا .

وغرقت فى التفكير مرة أخرى ، مستدركة :

ـ حتى هذه اللحظة .

تلقَّى (كوالسكى) مكالمة فى هذه اللحظة ، استمع إليها فى اهتمام ، قبل أن يقول ، محاولًا تمالك أعصابه :

ـ الرجال عادوا .

اعتدلت (سونيا) فى قلق :

ـ قلت : إنهم لا يجيبون اتصالاتك .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسأل فى توتر :

ـ هل تعنين ...

قاطعته مرة أخرى فى حدة :

ـ لست أعنى شيئًا ... فقط لا تسمح للسيارة بالدخول إلى قلعتك ، قبل أن يتم فحصها بدقة ... بل بمنتهى الدقة .

التقط هاتفه على الفور ؛ لينقل هذا الأمر لرجاله ، فى حين مال (جولدمان) نحو (سونيا) :

ـ هل تعتقدين أن (أدهم) هذا ...؟

أشارت إليه بالصمت فى صرامة :

ـ لا تتعجَّل الأمور .

فى تلك اللحظة ، كانت (الفان) تنطلق بكل سرعتها ، نحو البوَّابة الوحيدة للقلعة ، والتى أغلقها الرجال فى إحكام ، طبقًا لأوامر (كوالسكى) ، وراحوا يتابعون انطلاقها نحوهم ، وأسلحتهم كلها مشهورة فى تحفز ...

وعلى الرغم من اقتراب (الفان) من البوَّابة ، إلا أنها لم تخفض من سرعتها ، على عكس الطبيعى ، فهتفت (سونيا) ، وهى تراقب هذا ، على واحدة من شاشات الرصد العديدة ، فى مكتب (كوالسكى) :

ـ هذا ما توقعته .

ثم صرخت فى انفعال :

ـ مرهم بإطلاق النار عليها ، وبكل أسلحتهم .

صرخ (كوالسكى) ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ أطلقوا النار .. بكل قوة ..

وانهمرت الرصاصات على (الفان) كالمطر ...

وارتطم بها طن من الرصاصات ، دون أن تتوقف عن الانطلاق ، حتى بلغت مسافة متر واحد من البوابة ...

ومع تهشم زجاجها بالكامل ، أدرك الكل أنها تنطلق بلا سائق ...

وعلى مسافة متر واحد من البوابة ، دوى الانفجار ...

انفجرت (الفان) فى عنف ، و بدوى هائل ، مطلقة سحابة رهيبة من الدخان ، ومسببة موجة تصادمية ، شعر بها (كوالسكى) فى حجرة مكتبه ، فهتف بكل الغضب والثورة :

ـ هذا مستحيل !!

كانت سحب الدخان مازالت تغمر نصف الحديقة ، عندما رن هاتف (كوالسكى) الخاص ، وحملت شاشته اسم وصورة (إيفان) ، ففتح الاتصال على الفور ، هاتفًا :

ـ (إيفان) ... ماذا حدث ؟!

ولكن الصوت الذى سمعه ، لم يكن صوت (إيفان) ...

بل كان ضحكة ساخرة عالية ...

أقوى ضحكة ساخرة أطلقها (أدهم) ...

على الإطلاق .

***

6 ـ المفاجأة ..

مالت (منى) نحو (أدهم) ، فى شغف شديد ، وهى تسأله فى لهفة :

ـ ألم يدر بينكما أى حديث ؟!

ابتسم مجيبًا فى هدوء :

ـ حديث قصير للغاية ، لا يسمح لهم بتعقب المحادثة .

قال (قدرى) ، وهو يلتقط شطيرة كبيرة :

ـ المهم أن يحقق الهدف .

أشار إليه :

ـ أنا واثق من أنه قد فعل .

استرخى على مقعده ، وهو يستطرد :

ـ فقط أخبرته بالمكان ، الذى قيَّدت فيه رجاله ، وبأسلوب ساخر سيستفز مشاعره حتمًا .

سألته (منى) :

ـ وماذا عن بياناته ؟!

أشار إلى (قدرى) :

ـ سلى (قدرى) .

هزَّ (قدرى) كتفيه المكتظين ، قائلًا :

ـ يلوح لى أننى بطل هذه العملية .

ابتسم (أدهم) ، وهو ينهض إليه :

ـ أنت بطل كل عملية يا صديقى .

ثم ألقى نظرة عبر الميكروسكوب ، قبل أن يربت على كتفه فى مودة :

ـ أأنت واثق من أن هذا سيؤدى الغرض ؟!

مطَّ (قدرى) شفتيه ، وهو يقول :

ـ أهذا سؤال ؟!

ضحك (أدهم) ، وهو يربت على كتفه مرة أخرى ، دون أى تعليق ، فابتسم (قدرى) بدوره ، وهو يسأل :

ـ ألا تريان أن هذه العملية تختلف ، عن كل ما قمنا به من قبل .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ فى التكنيك فحسب .

قالت (منى) :

ـ بالتأكيد ، فنحن نلعب على أعصاب العدو وتماسكه .

تنهَّد (أدهم) ، وقال :

ـ مع رجل اعتاد القوة ، مثل (فيكتور كوالسكى) ، لابد من ضربة فى مصدر قوته ...

إنه لا يغادر قلعته أبدًا ؛ لثقته فى أنه آمن داخلها تمامًا ، ويستحيل أن يصل إليه أحد ، إلا بإرادته ، وعندما تحطِّم القاعدة ، وتنجح فى الوصول إليه ، ثم تتحدى كل وسائل أمنه ، وتفلت من بين أصابعه ، ويعجز عن الإمساك بك ، فهو يصاب بحالة من الغضب الوحشى ، تجعله يقاتل بكل قوته وشراسته ؛ لإثبات أنه مازال الأقوى .

غمغمت (منى) :

ـ ناهيك عن تحطيم ثقة عملائه بمناعته ؟!

غرق فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول فى جدية :

ـ لم نبلغ هذه المرحلة بعد .

اعتدلت (منى) فى اهتمام :

ـ تبقت أمامنا خطوة .

فوجئ الثلاثة برنين جرس الباب ، فى هذه اللحظة ، فالتفتوا إليه فى قلق ، وغمغم (قدرى) ، مقاومًا ارتجافة تسرى فى جسده :

ـ من يمكن أن يأتى إلينا هنا ؟!

غمغمت (منى) بدورها ، وهى تسحب مسدسها :

ـ رجال (كوالسكى) !

نهض (أدهم) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ولماذا التساؤل ؟!

اتجه مباشرة إلى الباب المصفح ، وألقى نظرة عبر العين السحرية ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ...

فذلك الذى دق جرس الباب ، كان آخر شخص ، يمكن لهم توقعه ...

آخر شخص بالفعل ...

***

على الرغم من كل محاولاته ، استشاط (كوالسكى) غضبًا ، على نحو لم يستطع كتمانه ، وهو يصرخ فى وجه (إيفان) :

ـ ألا تشعر بالخجل والعار ؟!... رجل واحد ، يفقدك واثنين من أقوى رجالك وعيكم ، ويلقيكم كأجولة قمامة ، فى مخزن مهجور ، عند أطراف المدينة ، ولا تشعرون بالعار يلتهم كيانكم .

غمغم (إيفان) ، محاولًا السيطرة على مشاعره ، والحفاظ على برووده الأسطورى :

ـ لقد باغتنا ، و ...

قاطعته (سونيا) :

ـ لا تحاول التبرير .

أدار عينيه إليها ، فتابعت فى صرامة :

ـ فهذا يجعلك تبدو أسوأ .

نقل (كوالسكى) بصره بينهما فى غيظ ، فى حين نهض (جولدمان) ، وهو يقول فى غضب :

ـ يبدو أننا نحتاج إلى مورد آخر يا (فيكتور) .

هتف به (كوالسكى) :

ـ الصفقات ستتم ، حسب المتفق عليه يا (إيريك) .

صدمه صوت (سونيا) الصارم القاسى ، وهى تقول :

ـ ولكنه خطأك أنت يا (فيكتور) .

صاح بها فى صرامة :

ـ أنا لا أخطئ .

واصلت فى صرامة أكثر قسوة :

ـ أرسلت ثلاثة رجال فحسب ؛ لمواجهة (أدهم صبرى) .

صاح :

ـ ثلاثة من أقوى رجالى .

هتفت :

ـ لا يكفون .

وبدت أكثر صرامة وعنفًا ، وهى تضيف :

ـ أخبرتك أن (أدهم) حالة فريدة ، لم ألتق بمثلها أبدًا .

مطَّ (كوالسكى) شفتيه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ مجرد رجل مخابرات محترف .

لوَّحت بسبَّابتها فى وجهه :

ـ ليس هذا فحسب ... إنه محترف بالنسبة للمحترفين ، فقدراته الجسدية ، ومهاراته ومواهبه ، يستحيل جمعها فى رجل واحد مرتين ، فى نفس الزمان .

غمغم (إيفان) :

ـ ماذا يفعله ، ونعجز نحن عن فعله ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ الكثير .

ثم التفتت إلى (كوالسكى) ، مضيفة :

ـ قدرته على التنكر مذهلة ... لا ينتحل ملامح الوجه فحسب ، ولكن الصوت واللهجة والأسلوب أيضًا ... ولقد اختبرت هذا بنفسك .

لوَّح بيده ، وأشار بوجهه ، دون أن يجيب ، فتابعت ، وهى ترمق (إيفان) بنظرة صارمة :

ـ ألم تختبر بعد كيف يمكنه أن يقاتل ، بأطرافه الأربعة فى آن واحد ؟!

غمغم فى غلظة :

ـ لا أحد يمكنه أن يفعل هذا .

ثم أشار بيده ، متحديًا :

ـ لابد له من محور ارتكاز .

ابتسمت فى سخرية عصبية :

ـ أحمق .

ثم استطردت فى حدة :

ـ عندما يرتفع جسد (أدهم) عن الأرض ، لا يكون بحاجة إلى محور ارتكاز ، لتتحرك أطرافه الأربعة فى آن واحد ، وتؤدى مهمتها .

قال متحديًا :

ـ لا يمكن أن يدوم هذا ، لأكثر من ثانية أو ثانيتين على الأكثر .

هزَّت كتفيها :

ـ لو أنك بمثل سرعته ، لبدا لك هذا كافيًا .

هتف (كوالسكى) فى حدة :

ـ كفى .

ثم استطرد فى غضب :

ـ تتحدثين عنه ، وكأنه كائن أسطورى ... فى النهاية هو مجرَّد رجل ... ربما يمتلك بعض القدرات المتفوقة ، ولكنه مجرد رجل فى النهاية .

عادت تهز كتفيها ، وتشعل سيجارتها ، قائلة :

ـ أردت تحذيركم فحسب .

هتف فى حدة :

ـ ولقد فعلت ... وهذا يكفى .

ثم رفع عينيه إلى (إيفان) :

ـ على الرغم من كل ما قالته السيدة (سونيا) ، فسنتعامل مع ذلك الرجل، باعتباره مجرد رجل ، وسنستخدم طبيعة البشر ؛ للظفر به .

قالت (سونيا) فى صرامة :

ـ سأعود إلى فندقى .

قال فى صرامة :

ـ هذا أفضل .

تركها تنصرف ، والتفت إلى (إيفان) ؛ ليخبره بالخطة الجديدة ... الخطة التى تداعب المشاعر البشرية ... إلى أقصى حد ...

* * *

« مليون دولار ... »

قالها (سيرجى كوربوف) فى برود ، وهو يجلس مع (أدهم) و (منى) و(قدرى) ، فى ذلك المنزل الآمن ، فتطلع إليه الثلاثة لحظة فى صمت ، قبل أن يغمغم (قدرى) ، بابتسامة شاحبة :

ـ كنت أتصوَّر أن (أدهم) وحده ، يساوى أكثر من هذا .

أشار إليه (أدهم) بالهدوء ، وقال :

ـ الواقع أننى قد شعرت بدهشة حقيقية ، وهذا قلما يحدث ، عندما فوجئت بك أمام الباب يا (سيرجى) ؛ فأنا واثق من أن عنوان هذا المنزل الآمن مجهول لكم تمامًا .

أومأ (سيرجى) برأسه فى برود :

ـ كان هذا صحيحًا ، حتى دقائق مضت ، فمنذ قتل (كوالسكى) أحد أهم تلامذتى ، وأطعم جثته للكلاب ، اتخذت قرارًا بالقضاء عليه ... وهكذا نشرت رجالى ، فى كل أنحاء (كييف) ، وعندما أخبرونى أنهم قد رصدوا (قدرى) يسير الهوينا فى الطرقات ، أدركت أنه هناك شىء غريب يحدث .

التفت بعينيه الضيقتين إلى (قدرى) ، وهو يتابع :

ـ فمن غير المنطقى ، وأنتم تواجهون رجلًا مثل (فيكتور كوالسكى) ، أن يخرج أحدكم للتجول فى المدينة ، وهكذا راقب رجالى من ظنوه (قدرى) عن بعد ، حتى اختطفه رجال (كوالسكى) ، ورصدوا القتال فى تلك (الفان) ، ووصولها إلى ذلك المخزن المهجور ، وبعدها خروجها دون سائق من ذلك المخزن .

وعاد ببصره إلى (أدهم) :

ـ عندها فهمت ما يحدث ، وطلبت منهم رصد من يغادر المخزن ، وعن بعد كبير ، بوساطة الرواصد الرقمية ... وهكذا وصلت إلى هنا .

اندفعت (منى) :

ـ لماذا ؟!

لمس (أدهم) كفها ؛ لتلتزم الصمت ، ثم سأل (كوربوف) :

ـ نعم يا (سيرجى) ... هذا هو السؤال ... إننا دومًا خصمين ، على رقعة شطرنج المخابرات ، فلماذا أتيت إلينا مباشرة الآن ؟!

غمغم (قدرى) فى حذر :

ـ ومن الباب ؟!

أشار (كوربوف) بيده :

ـ ربما لأنه لدينا هذه المرة عدو مشترك .

سأله (أدهم) :

ـ وكيف علمت أنه سيرصد مليون دولار ، لمن يرشده إلينا أو حتى لأحدنا ، على الرغم من أنه لم يعلن هذا بعد ؟!... ألديك عميل داخل القلعة ؟!

صمت (كوربوف) لحظة ، ثم تمتم :

ـ ربما .

تطلع إليه (أدهم) لحظات ، فى صمت وتفكير ، قبل أن يقول :

ـ أهى تلك السمراء (ناتاشا) ؟!

مال (كوربوف) نحوه فى حزم :

ـ لم آت إلى هنا ، لأتحدث عن سمراوات وشقراوات ... لقد أتيت لأبحث كيف يمكن أن تتعاون مخابراتكم ومخابراتنا ؛ للقضاء على (كوالسكى) هذا .

غمغمت (منى) :

ـ لن تتعاونوا أبدًا .

قال فى صرامة :

ـ ولكن سبق وأن فعلتا ، و ...

قاطعه (أدهم) :

ـ (منى) تعنى أن مهمتنا هنا ، لا شأن لها بمخابراتنا .

تراجع (كوربوف) فى مقعده فى بطء :

ـ ماذا إذن ؟!

أجابه (قدرى) :

ـ إننا نعمل على نحو غير رسمى .

نقل (كوربوف) عينيه الضيقتين فى حذر ، بين وجوه ثلاثتهن ، قبل أن يتوقف عند وجه (أدهم) ، الذى أومأ برأسه :

ـ هذا صحيح .

أطلق (كوربوف) زفرة محدودة ، واستغرق فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ إذن فقد علمت كيف يمكننا أن نتعاون .

وكانت هذه قفزة جديدة فى العملية غير الرسمية ...

قفزة قوية ...

جدًا ...

***

نفثت (سونيا) دخان سيجارتها فى بطء ، واستغرقت طويلًا فى تفكير عميق ، قبل أن تقول :

ـ (كوالسكى) فعلها يا (باراك) ... أعلن عن مكافأة المليون دولار ، فى كل الأوساط .

غمغم (باراك) :

ـ ستخرج (كييف) كلها ، للبحث عنهم .

صمتت لحظات أخرى ، ثم لوَّحت بكفها :

ـ لن يجدى هذا مع (أدهم) .

هزَّ كتفيه ، وهو يقول فى حذر :

ـ ليس بالضرورة ... المال يفتح دومًا الكثير من الأبواب ، ويحل عقدة الألسنة .

غمغمت :

ـ ليست هذه هى الوسيلة ، للإيقاع بشيطان مثل (أدهم) .

شدَّ قامته :

ـ الجلوس هنا أيضًا لن يوقع به .

التفتت إليه بنظرة حادة ، سرعان ما اكتست بعلامات العناد ، وهى تقول :

ـ خطأ .

ثم استدارت بكامل جسدها إليه ، وهى تلقى بقايا سيجارتها بطول يدها :

ـ عندما تواجه معضلة كبيرة ، لا يكون أمامك لحلها ، سوى وسيلتين فحسب ... إما أن تندفع مباشرة ، وهنا يصبح احتمال وقوعك فى الأخطاء كبيرًا ، وإما أن تجلس وتفكر فى هدوء ، حتى تدرس الموضوع جيدًا ، وتضع خطتك ، ثم تتحرَّك ... فى هذه الحالة ، يمكنك تفادى الكثير من الأخطاء ، على أرض الواقع .

أقنعته كل كلمة قالتها ، فسألها فى اهتمام :

ـ هل لديك خطة بعينها ؟!

صمتت لحظات ، قبل أن تجيب :

ـ فى مراحلها الأخيرة .

سألها فى شغف :

ـ وهل ستوصلنا إليه ؟!

هزّت رأسها نفيًا :

ـ كلا .

ثم التمعت عيناها ، مع استطرادتها الحازمة :

ـ ستأتى به هو إلينا .

وعندما ابتسمت ، عقب قولها هذا ، بدت ابتسامتها أشبه بابتسامة نمرة مفترسة ...

نمرة دموية ...

ووحشية ...

أو أكثر رعبًا ...

***

« ماذا تفعلين هنا ؟! ... »

ألقى (إيفان) السؤال على (ناتاشا) فى صرامة ، فوضعت سبَّابتها على شفتيها هامسة :

ـ اخفض صوتك .

نهض من فراشه فى غضب :

ـ الوقت لا يناسب هذا .

مرَّرت سبَّابتها على وجهه فى نعومة :

ـ الوقت دومًا لا يناسب ... نحن من نجعله كذلك .

أزاح سبَّابتها عن وجهه فى خشونة :

ـ منذ ظهر ذلك المصرى ، والزعيم لا ينام فى عمق أبدًا ... ربما تنتابه الكوابيس ، فيستيقظ فجأة ، وتكون العاقبة وخيمة .

عادت تمرر سبَّابتها على وجهه :

ـ سأجازف .

قال فى صرامة شديدة ، وهو يمسك سبَّابتها ، ويلويها فى قسوة :

ـ أما أنا فلا .

غمغمت فى عصبية :

ـ أتريدنى أن أنصرف ؟!

أشار إلى باب حجرته فى صرامة :

ـ وفورًا .

غادرت ، هاتفة فى عصبية :

ـ انعم بكوابيسك أنت الآخر .

ولم تكد تغلق باب حجرته خلفها ، حتى اعتدلت ، وانفرجت أساريرها ، وهى تغمغم مبتسمة :

ـ وثق فى أن زعيمك لن توقظه كوابيسه هذه الليلة ، فالعقار الذى أضفته إلى شرابه ، سيبقيه نائمًا كالحجر ، حتى صباح الغد ... على الأقل .

سارت على أطراف أصابعها ، حتى حجرة مكتب (كوالسكى) ، وألقت نظرة لا مبالية ، على الحارسين ، اللذين دعتهما إلى الشراب نفسه ، فلم يستطيعا إلا الاستغراق فى النوم على مقعديهما ، قبل أن تدفع الباب ، وتدلف إلى الحجرة ، وتلتقط نفسًا عميقًا ، مغمغمة :

ـ الآن صار كل شىء فى قبضتك يا (ناتاشا) .

وأخرجت من جيب صغير خفى ، فى ذيل ثوبها الهفهاف أداة رفيعة للغاية ، وبدأت عملها ...

بمنتهى الدقة ...

والسرعة ...

***

انطلقت تنهيدة ارتياح ، من بين شفتى (قدرى) عندما انتهى أخيرًا من عمله البالغ الدقة ، ورفع رأسه ، هاتفًا :

ـ أخيرًا .

التفت إليه (أدهم) فى اهتمام :

ـ هل فعلتها ؟!

أومأ برأسه ، مجيبًا فى زهو :

ـ ودون الحاجة إلى إمكانيات المخابرات الروسية .

سألته (منى) فى اهتمام :

ـ وماذا عن تلك البيانات ؟!

هزَّ رأسه نفيًا :

ـ هناك جدار نارى ، قوى ومتطور للغاية ، يحمى كل البيانات .

سألته فى قلق :

ـ ألا يمكن اختراقه ؟!

هزَّ كتفيه :

ـ كل شىء يمكن اختراقه ، ولكنها مسألة وقت ، فالإسراع هنا ، قد ينقل إنذارًا رقميًا ، عن محاولة الاختراق .

أشار إليه (أدهم) :

ـ اعمل بجهد أكبر إذن يا صديقى ، فبغير تلك البيانات ، ستكون عمليتنا كلها بلا فائدة .

غمغم (قدرى) :

ـ أعلم هذا .

ثم أشار بيده :

ـ ولا تنس أن جهدى كله كان مركزًا ، على تنفيذ التحفتين .

ابتسم (أدهم) :

ـ لم أنس .

عاد (قدرى) ينهمك ، فى عمله على اللاب توب ، فى حين جذبت (منى) أدهم إلى ركن قصى ، وسألته فى اهتمام :

ـ والآن ماذا ؟!

سألها فى حذر :

ـ ماذا تعنين ؟!

قالت بكل الاهتمام :

ـ (سيرجى كوربوف) عرض وضع كل إمكانيات المخابرات الروسية تحت أيدينا .

أمسك كتفيها ، وتطلع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ عزيزتى ... صحيح أن هذه العملية غير رسمية ، إلا أننى مصر على أن تظلَّ مصرية خالصة ، حتى النهاية .

قالت فى خفوت :

ـ (كوالسكى) رصد مليون دولار ، لمن يرشد إلينا ، وربما يجد ، من بين رجال (كوربوف) ، الذين تتبعوك إلى هنا من يسيل لعابه لمبلغ مثل هذا ... النفس البشرية أمارة بالسوء .

صمت لحظات ، ثم قال :

ـ أنت على حق ... ولهذا سنضع خطة للانتقال إلى المنزل الآمن الاحتياطى ، فى أقرب وقت .

صمت لحظة أخرى ، ثم حملت ابتسامته وعيناه لمحة عابثة ، وهو يقول :

ـ ولكن ربما أستغل العرض الروسى فى هذا الشأن .

سألته فى اهتمام :

ـ فيم تفكر ؟!

أجاب مع ابتسامة هادئة :

ـ فى استغلال فكرتك ، فى توجيه ضربة جديدة لزعيم مموِّلى الإرهاب .

غمغمت مندهشة :

ـ فكرتى أنا .

اتسعت ابتسامته ، وهو ينظر إلى عينيها مرة أخرى :

ـ سأدفع أحد رجال (كوربوف) للوشاية بنا .

تملكتها دهشة عارمة ، فجَّرت فى أعماقها سؤالًا كبيرًا ...

كيف ؟!

***

7 ـ وشاية ..

فجأة ، سطعت الأضواء ، فى حجرة مكتب (كوالسكى) ، وارتفع صوت هذا الأخير ، صارمًا ، قاسيًا شرسًا ، وهو يقول :

ـ خطتك فاشلة يا (ناتاشا) ... لو أن هذا هو اسمك .

اعتدلت (ناتاشا) مذعورة فى سرعة ، حتى إنها لم تنتزع أداتها الرفيعة ، من ثقب خزانة (كوالسكى) السرية ، والتفتت إليه ذاهلة ، ومغمغمة :

ـ ولكن كيف ؟!

برز (إيفان) و(أيجور) من خلفه ، وهو يتابع بنفس اللهجة :

ـ كيف لم أغرق فى النوم ... أليس كذلك ؟!... المشكلة تكمن فى عقارك ، الذى كشف (إيفان) أمره ، منذ ثلاثة أيام ، على الرغم من أنك كنت تخفينه أسفل فراشك ، واستبدله بماء ملون .

غمغمت فى توتر :

ـ هل كنتم تشكون فى أمرى .

أجابها (إيفان) فى صرامة :

ـ منذ اللحظة الأولى ... لا أحد يدخل إلى القلعة ، دون أن نتحرى عن كل ما يتعلّق به ، حتى جدول تحصيناته فى طفولته .

قالت فى عصبية :

ـ ولكننى علمت عنك الكثير .

بدا لا مباليًا ، وهو يهز كتفيه :

ـ وحاولت إرسال كل ما علمته لرؤسائك ، وربما تصوّرت أنك قد فعلت .

أضاف (إيفان) مغمغمًا :

ـ ولكن هذا غير صحيح .

نقلت بصرها بينهما ، فى توتر شديد ، فقال (كوالسكى) ، وهو يتجه إليها :

ـ جهاز اتصالك ، الذى يبدو فى هيئة قلم طلاء شفاة ، أضفنا إليه شريحة إليكترونية دقيقة ، جعلت ترددات إرساله ثابتة ، مهما أشار إلى عكس هذا ، والتردد الوحيد ، الذى صار ثابتًا به ، هو الذى تستقبله آلاتنا وحدها .

مرة أخرى ، التقط (إيفان) خيط الحديث :

ـ وكنا نعيد بث المعلومات إلى رؤسائك ، بما يحقق مصالحنا .

تراجعت فى عصبية ، مع اقتراب (كوالسكى) منها ، وهى تغمغم :

ـ ماذا تريد منى يا (فيكتور) ؟

تجاوزها متجهًا نحو الخزانة ، التى كانت تحاول فتحها :

ـ أريد أن أثبت لك ، أنك فاشلة منذ البداية .

ضغط أزار القفل السرى الخفى فى سرعة ، ثم وضع مفتاحه فى الخزانة ، وفتحها على مصراعها ، وأشار إلى داخلها ، مبتسمًا فى ظفر وتشف :

ـ فارغة ... كنت تضيّعين وقتك بلا طائل .

حدّقت فى الخزانة الفارغة ، وهى تغمغم مضطربة :

ـ ولكننى رأيتك أكثر من مرة ...

قاطعها مكملًا حديثها :

ـ أضع أوراقًا هامة هنا ... هذا صحيح ... فعلت هذا أمامك ، ثم نقلت كل شىء إلى الخزانة السرية الأصلية ، فور انصرافك .

بدت الهزيمة واضحة على ملامحها ، وهى تنقل بصرها بينه ، وبين وجهى (إيفان) و(أيجور) فى توتر شديد ، مغمغمة :

ـ ماذا ستفعلون بى ؟!

برقت عيناه ، وهو يجيبها :

ـ ماذا نفعل بالخونة فى المعتاد يا (إيفان) ؟!

أجابه (إيفان) بكل البرود :

ـ نطعمهم لكلابنا .

بدا عليها رعب حقيقى ، وهى تهتف :

ـ لا ... ليس الكلاب .

وهنا أطلق (كوالسكى) ضحكة عالية طويلة ...

ضحكة تشف عن كل القسوة ...

والشر ...

والوحشية ...

بلا حدود ...

***

« خطتك شديدة التعقيد يا (أدهم) ... »

قالها (كوربوف) فى حذر ، وهو يتطلع إلى (أدهم) ، الذى بدا شديد الهدوء ، وهو يقول :

ـ أراها بسيطة للغاية يا (سيرجى) .

هزَّ (سيرجى) رأسه فى بطء ، وهو يقول فى برود :

ـ ظاهريًا فحسب أيها المصرى .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ تريد أن يذهب أحد رجالى ، ممن يقيمون هنا ، إلى مكان يتبع (فيكتور كوالسكى) ، ويرشده إلى موقعكم .

قال (أدهم) بنفس الهدوء :

ـ هل ترى هذا أمرًا معقدًا ... أيها الروسى ؟!

ضاقت عينا (كوربوف) أكثر ، وهو يقول :

ـ إنك لن ترشده إلى مكانكم الفعلى ، إلا لو كانت هناك خطة شديدة التعقيد وراء هذا .

هزَّ (أدهم) كتفيه :

ـ توجد خطة بالفعل ، ولكنها ليست معقَّدة كما **تتصوَّر** .

مال (كوربوف) نحوه أكثر :

ـ المفترض أننا شريكين ... هذه المرة **على الأقل ... ومن الضرورى أن** أعلم بما تنتويه مسبقًا .

صمت (أدهم) لحظات ، وهو يتطلع إليه ، **قبل أن يقول فى هدوء** :

ـ ماذا ينبغى أن يحدث ، عندما يرشد أحدهم (كوالسكى) ، عن مكاننا بالفعل ؟!

أجابه فى حزم :

ـ سينقض بكل قوته عليكم .

قال (أدهم) بنفس الهدوء :

ـ وماذا أيضًا ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ يقتلكم .

أشار (أدهم) بيده :

ـ لست أقصد ما سيحدث لنا ، بل ما سيحدث ، بالنسبة للرجل ، الذى أرشده إلينا ؟!

تراجع (كوربوف) على مقعده فى بطء ، وهو يجيب فى حذر :

ـ المفترض أن يحصل على المكافأة المرصودة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ مليون دولار ... أليس كذلك ؟!

أومأ (كوربوف) برأسه مؤيدًا ، وقد تضاعف حذره ، فمال (أدهم) نحوه هذه المرة ، وبدا أكثر دهاءً ، وهو يقول :

ـ وهل سيحصل على مليون دولار نقدًا .

أجابه فى حذر :

ـ من العسير حمل مثل هذا المبلغ نقدًا .

تراجع (أدهم) بدوره ، وابتسم :

ـ إذن .

لم يزد عن قول هذا ، فانعقد حاجبا (كوربوف) فى شدة ...

صحيح أن (أدهم) لم يفسر ما يعنيه ، ولكن ما أثار توتر (كوربوف) هو تلك الابتسامة على شفتيه ...

الابتسامة التى حملت الكثير من الغموض ...

الكثير جدًا ...

***

أوقف (إيفان) سيارته الفاخرة ، فى ذلك الشارع الضيق ، من شوارع المنطقة الشعبية فى (كييف) ، وأشار إلى أحد الرجال الثلاثة ضخام الجثة ، الذين يملئون السيارة بعضلاتهم البارزة ، فغادر السيارة ، متجهًا نحو رجل بسيط المظهر ، يرتدى حلة متواضعة ، وسأله فى خشونة :

ـ (ميخائيل رابينوفيتش) ؟!

وافقه الرجل بإيماءة مضطربة من رأسه ، فدفعه أمامه فى غلظة ، نحو سيارة (إيفان) ، الذى سأله فى صرامة :

ـ تقول إنك تعلم أين هم .

أومأ الرجل برأسه فى توتر ، وأخرج بيد مرتجفة ورقة ، ناولها له ، وهو يغمغم :

ـ هذا هو عنوانهم يا سيد (إيفان) .

التقط (إيفان) الورقة ، وألقى نظرة عليها ، قبل أن يسأله فى خشونة :

ـ وكيف علمت أنهم هم ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ إنهم مثل الوصف تمامًا ... رجل وامرأة لهما قوام رياضى ، ورجل بدين ضخم الجثة .

وتلفَّت حوله فى توتر ، ثم مال نحو نافذة السيارة ، مضيفًا ، فيما يشبه الهمس :

ـ ويتحدثون العربية .

انعقد حاجبا (إيفان) فى شدة ، وهو يقول بكل صرامة :

ـ وكيف علمت أنها العربية ؟!

اعتدل مجيبًا ، بنفس الخفوت :

ـ صهرى عربى ، ولقد اعتدت تمييز لغته مع الوقت .

أومأ (إيفان) برأسه ، وأشعل محرك السيارة ، فتشبَّث الرجل بالنافذة ، هاتفًا :

ـ وماذا عن المكافأة ؟!

أجابه (إيفان) بكل صرامة :

ـ عندما نتيقن من صحة معلوماتك .

انطلق بالسيارة ، والرجل يهتف من خلفه :

ـ لقد وعدتم .

ثم اعتدل ، مع اختفاء السيارة ، عند ناصية الشارع ، والتقط من جيبه جهازًا صغيرًا ، قال عبره بالروسية :

ـ تمام يا كولونيل .

وأعاد الجهاز إلى جيبه ، وراح يسير فى هدوء ، وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا ..

منغومًا ...

وظافرًا ...

***

« عثروا عليهم ... »

هتف (كوالسكى) بالعبارة فى ظفر ، وهو يحدّث (سونيا) عبر الهاتف ، وأدهشه أن استقبلت قوله فى برود قائلة :

ـ عظيم ... أهنئك .

ثم أنهت المحادثة على الفور ، فأبعد الهاتف عن أذنه ، وتطلع إليه لحظات ، فى مزيج من الدهشة والحيرة ، قبل أن يرفع عينيه إلى أحد حراسه ، متسائلًا فى لهجة ، غلبت عليها عصبيته :

ـ ماذا تريد ؟!

أجابه الحارس ، وهو يتراجع خطوة إلى الوراء :

ـ أخبرتك أن ذلك الروسى يطلب مقابلتك أيها الزعيم .

انعقد حاجباه لحظة ، وغمغم فى توتر :

ـ (سيرجى كوربوف) ... كم يدهشنى هذا !!!

ثم أشار إلى حارسه :

ـ أخضعوه لكل وسائل الفحص والتأمين بمنتهى الدقة ، قبل أن يأتى إلى هنا .

انصرف الحارس على الفور ؛ لتنفيذ الأمر ، فى حين ازداد انعقاد حاجبى (كوالسكى) ، وهو يغمغم لنفسه :

ـ (سيرجى كوربوف) بنفسه ... وعلى نحو مباشر !!

ثم التقط هاتفه ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال بكل اهتمامه :

ـ جنرال (راجيف) ... مرحبًا أيها الرفيق ... أعلم أن أحدًا لم يعد يستخدم هذا اللقب ، منذ زمن (جورباتشيف) ، ولكننى مازلت أحب استخدامه ... ما علينا ... المهم ... هناك موقف أريد فهمه ، عبر منصبك فى المخابرات الروسية .

استغرقت محادثتهم دقيقة أو يزيد ، قبل أن يزفر (كوالسكى) فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ تعامل مباشر ؟!... عظيم ... هذا أفضل قرار اتخذه (الكريملين) .

أنهى المحادثة ، وهو يبتسم فى ظفر :

ـ استغرقوا وقتًا طويلًا ، قبل أن يخضعوا لإرادتك يا (فيكتور) .

جعله هذا يستعيد ثقته وزهوه ، حتى إنه استقبل (كوربوف) فى حزم ، وهو يقول :

ـ أوّل مرة تدخل فيها قلعتى يا كولونيل .

غمغم (كوربوف) فى برود :

ـ ولن تكون الأخيرة يا (فيكتور) .

جلس (فيكتور) على عرشه فى غطرسة ، وهو يتطلع إليه ، قائلًا :

ـ هل قررتم دخول اللعبة يا كولونيل ؟!

أجابه (كوربوف) بنفس البرود :

ـ ولكن على نحو عكسى .

حمل صوت (كوالسكى) مزيجًا من الحذر والانتباه ، وهو يسأله :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه (كوربوف) ، وقد امتزج بروده بصرامته :

ـ هناك من يستعين بك ؛ لتمويل الحركات الانفصالية وتسليحها .

قال فى صرامة :

ـ لا يمكننى كشف أسرار زبائنى يا كولونيل .

قال (كوربوف) وقد زادت صرامته عن بروده :

ـ لن يطالبك أحد بهذا يا رجل .

سأله بكل توتره :

ـ ماذا عنيت بعبارتك إذن ؟!

أمسك (كوربوف) حافة مكتبه ، وهو يميل نحوه :

ـ كم يدفعون لك ؟!

بدا (كوالسكى) شديد الصرامة :

ـ هذا أيضًا سر من أسرار العمل .

تراجع (كوربوف) فى هدوء :

ـ وماذا لو أن هذا أساس الصفقة ، التى أرسلونى لطرحها عليك ؟!

سأله فى حذر :

ـ ما نوع الصفقة بالضبط ؟!

أجابه على الفور :

ـ سندفع ضعف ما يدفعونه .

تضاعف حذر (كوالسكى) :

ـ مقابل ماذا ؟!

أجاب فى حزم :

ـ عدم تزويدهم بالسلاح .

ران عليهما صمت طويل نسبيًا ، بعد إجابة (كوربوف) ، قبل أن يقول (كوالسكى) ، فى بطء شديد الحذر :

ـ هذا يخالف كل القواعد يا كولونيل .

قال (كوربوف) فى برود شديد :

ـ أنت تضع القواعد ، وأنت تستطيع كسرها .

صمت (كوالسكى) فترة أطول ، ثم قال :

ـ هناك من القواعد ما لا يمكن كسره ، فلو فعلت سأفقد ثقة كل الزبائن الآخرين .

تطلع إليه (كوربوف) طويلًا ، ثم قال فى بطء بارد كالثلج :

ـ يتبقى لنا إذن ، الجزء الأسوأ من التفاوض .

سأله فى توتر :

ـ وهو ؟!

نهض (كوربوف) ، مجيبًا ، دون أى انفعال :

ـ تدميرك .

سرى غضب شديد ، فى كيان (كوالسكى) ، وهو يقول :

ـ يمكنكم أن تحاولوا .

ابتسم (كوربوف) ابتسامة باردة ، وهو يقول :

ـ ربما بدأنا بالفعل .

نهض (كوالسكى) بدوره ، قائلًا فى حدة :

ـ لو أنك تعنى عميلتكم ، فقد انتهى أمرها .

ضاقت عينا (كوربوف) أكثر ، وهو يتجه نحو الباب :

ـ هذا سيزيد من دينك يا رجل .

وعلى الرغم من البرود الشديد ، الذى نطق به عبارته ، فقد تركت أثرًا فى نفس (كوالسكى) ...

أثر قوى ...

***

أحاط (إيفان) ، مع جيش صغير من رجاله ، بذلك المنزل الآمن ، فى أطراف (كييف) ، وأشار هو إلى رجاله إشارة ، جعلتهم يتخذون أوضاعًا قتالية تحفزية ، وانتظر لحظات ، ثم أشار إشارة الهجوم ...

وبمنتهى العنف ، انقض رجال (إيفان) على المنزل ، من كل الاتجاهات ، فحطموا الباب ، وانقضوا من النوافذ ...

حتى نافذتى المطبخ والحمام ...

وفى آن واحد ، انطلقت رصاصاتهم كالمطر ، على كل ركن ، من أركان المنزل الآمن ...

سيل من الرصاصات انهال على كل شىء ، وحطَّم كل ما وجده فى طريقه ...

حتى الأثاث ...

ومكتب (قدرى) ...

وذلك الميكروسكوب ...

وبالنسبة لذلك الحى ، بدا لهم كأن الحرب قد اندلعت ، لا ينقصها سوى المدفعية والطيران ...

وعلى الرغم من كل ما أثاره هذا من ضجيج وفوضى ، لم يظهر رجل شرطة واحد ...

لقد دبَّر (إيفان) كل شىء ...

ودرس كل الاحتمالات ...

فيما عدا احتمال واحد ...

أن المنزل الآمن ، كان خاليًا من البشر ...

ومع إشارة من يده ، توقف سيل الرصاصات ، ووقف (إيفان) فى وسط المنزل ، هاتفًا فى غضب :

ـ أين هم ؟!

ولأن أحدًا لم يكن يملك جوابًا ، فقد ردَّدت الجدران سؤاله ... بلا أدنى جدوى ...

***

« أغبياء ... »

نطقتها (سونيا) فى ضيق ، وهى تمط شفتيها ، فغمغم (باراك) فى توتر :

ـ وكأنهم يشنون حربًا .

لوَّحت بيدها فى استهجان :

ـ هذه هى اللغة الوحيدة ، التى يعلمونها ... لغة القوة .

ثم زفرت ، وهى تشعل سيجارتها :

ـ وهى اللغة الوحيدة ، التى لا يمكنها أن تهزم رجلًا مثل (أدهم) .

غمغم :

ـ وما الذى يمكن أن يهزم مثله .

أشارت إلى رأسها فى حزم :

ـ هذا .

نفثت دخان سيجارتها ، قبل أن تلتفت إليه ، وتسأله :

ـ ما الذى توصلت إليه ؟!

أجابها على الفور :

ـ هناك سيارة إسعاف ، وصلت إلى هذا الحى ، وحملت رجلًا مصابًا ضخم الجثة ، احتاج إلى أربعة رجال ، لنقله إلى السيارة .

تمتمت فى تفكير :

ـ وصحبه رجل وامرأة ؟!

هزَّ رأسه نفيًا :

ـ امرأة فقط .

نفثت دخان سيجارتها فى عمق وتفكير ، وهى تغمغم ، وكأنها تحدّث نفسها :

ـ خطة بسيطة وفعَّالة يا (أدهم) ... برافو .

ثم التفتت إلى (باراك) مرة أخرى فى حزم :

ـ انطلق بنا إلى مركز الإسعاف .

انطلق بالسيارة ، وهو يسألها :

ـ أتتوقعين أنها سيارة إسعاف حقيقية ؟!

غمغمت :

ـ لا يمكننا إهمال هذا الاحتمال .

لم تمض دقائق عشر ، حتى كانا فى مركز الإسعاف ، والمسئول هناك يراجع سجلاته ، قائلًا :

ـ لم نرسل أية سيارة ، إلى ذلك العنوان الليلة .

تمتم (باراك) :

ـ كنت أتوقع هذا .

التفتت إليه فى صرامة :

ـ كان من الضرورى أن نستبعد هذا الاحتمال .

سألها :

ـ ثم ماذا ؟!

لاذت بالصمت تمامًا ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، قبل أن تجيب :

ـ سنلعب على الحبل الآخر .

وحمل صوتها كل الصرامة والحزم ، وهى تضيف :

ـ مكافأة المليون دولار .

ولم يفهم (باراك) ...

مطلقًا ...

***

قهقه (قدرى) فى مرح ، قبل أن يشير بيده قائلًا :

ـ كم أشفقت على الرجال ، الذين حملونى على محفة الإسعاف ...

ابتسمت (منى) :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّر كم أجهدتهم .

ربَّت على كرشه :

ـ الروس أقوياء .

ضحكت ، قائلة :

ـ ليس إلى هذا الحد .

تطلع إليها لحظات ، قبل أن يعود للعمل ، على أزرار اللاب توب ، وهو يهز رأسه :

ـ تثيرين إعجابى دومًا يا (منى) ... الخطر يحيط بنا من كل جانب ، وتجدين القدرة على الضحك .

تنهَّدت قائلة :

ـ لكل منا وسيلته ، فى مقاومة الخوف يا (قدرى) .

هزَّ رأسه مرة أخرى :

ـ أنت على حق .

ثم عاد يسألها فى اهتمام :

ـ أتعلمين أين (أدهم) ؟!... إنه لم يرافقنا إلى هنا .

أجابته فى اقتضاب :

ـ كل منا يقوم بدوره .

رفع عينيه إليها لحظات ، ثم عاد ببصره إلى شاشة اللاب توب ، دون أن يطالبها بأى توضيح ، وران عليهما الصمت بضع لحظات ، قبل أن تبتسم هى ابتسامة شاحبة ، مغمغمة :

ـ كيف حال شهيتك ؟!... لم تأكل منذ وصولنا إلى هنا .

لم يجبها (قدرى) ، فرفعت صوتها قليلًا :

ـ ألست جائعًا ؟!

رأته يحدق فى شاشة اللاب توب فى انفعال ، فسألته فى اهتمام :

ـ (قدرى) ... هل ...

رفع عينيه إليها ، فى ظفر واضح ، وهو يهتف :

ـ فعلتها .

هبت واقفة ، تسأله فى لهفة :

ـ هل توصلت إليها ؟!

رفع سبَّابته وإبهامه بعلامة النصر ، فخفق قلبها فى قوة :

الآن يمكنهم توجيه الضربة الأخيرة ...

الضربة القاضية .

***

8 ـ المكافأة ..

تراجع (كوربوف) فى مقعده الوثير ، داخل منزل آمن ، يتبع المخابرات الروسية فى (كييف) ، وتطلع بضع لحظات ، بوجه بلا انفعالات ، وعينين يطل منهما البرود ، إلى (أدهم) ، قبل أن يقول :

ـ حسنًا يا (أدهم) ... لقد أثبت أنك تعرف عنوان منزلنا الآمن فى (كييف) .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ، تحمل لمحة من الخبث ، وهو يقول فى هدوء :

ـ أردت رد الزيارة فحسب يا (سيرجى) .

صمت (كوربوف) بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى برود :

ـ والآن ماذا ؟!

أشار (أدهم) بيده فى هدوء :

ـ السؤال نفسه أوجهه إليك يا (سيرجى) .

ثم اكتسى صوته بمزيج من الصرامة والحزم ، وهو يضيف :

ـ ماذا ربحت ، من زيارتك لـ(كوالسكى) اليوم ؟

أجابه (كوروبوف) على الفور :

ـ تعليمات (الكريملين) .

كرَّر (أدهم) بنفس اللهجة :

ـ ماذا ربحت ؟!

مرة أخرى ، استغرق (كوربوف) فى صمته لحظات ، ثم مال إلى الأمام فى بطء :

- (أدهم) .. عرضت عليك التعاون ، وليس العمل تحت إمرتك .

لانت لهجة (أدهم) مكررًا :

- ماذا ربحت من هذا يا (سيرجى) ؟!

عاد (كوربوف) يتراجع فى مقعده :

- لماذا تتصوَّر أننى قد ربحت شيئًا ؟!

هزَّ (أدهم) كتفيه فى هدوء :

- كلانا محترف يا (سيرجى) .

صمت (سيرجى) طويلًا هذه المرة ، وكأنه يدير الأمر فى رأسه ؛ لاتخا
قرار ما ، ثم أجاب فى بطء :

- قنَّاص إليكترونى .

ومال مرة أخرى إلى الأمام ، موضحًا :

- جهـاز صغيـر منمنم ، غرستـه أسفل حافة مكتبه ، ينقل إلينا كل إشا
رقمية ، تصدر من مكتبه .

بدا الاهتمام على (أدهم) :

- أتعنى حتى عمله على اللاب توب ، الخاص به ؟!

أومأ (كوربوف) برأسه ، وأضاف :

- ليس هذا فحسب ، ولكنه ينقل لنا كل ما يحويه اللاب توب فى ذاكر
أيضًا :

سأله (أدهم) :

- وكم يستغرق نقل تلك الذاكرة ؟!

مطَّ شفتيه ، مجيبًا :

- سرعة الإنترنت مازالت بطيئة نسبيًّا ، وهذا يعنى أنه سيحتاج إلى يومين
على الأقل ، لنقل كافة البيانات .

لاحظ أن (أدهم) يهم بالتعليق ، فأضاف فى سرعة :

- سرعة النت لديكم فى (مصر) أبطأ .

غمغم (أدهم) :

- مازالت فى بدايتها .

قال (كوربوف) :

- وليست لديكم بعد هواتف نقَّالة .

أجابه (أدهم) :

- ستعمل عما قريب ، ولكننا لسنا هنا للتباهى يا (سيرجى) .

أشار (كوربوف) بيده :

- لم تخبرنى بعد لماذا أتيت إلى هنا ؟!

تطلع (أدهم) إلى عينيه الضيقتين مباشرة ، وهو يقول :

- المفترض أننا معًا ، فى هذه العملية .

غمغم (كوربوف) :

- المفترض هذا .

مال نحوه فى حزم :

- وفى مرحلة من مراحل العملية ، قد اضطر إلى مغادرة (كييف) ليوم
واحد ..

سأله فى اهتمام :

- إلى أين ؟!

أجابه فى حزم :

ـ لم أحدد بعد ، ولكن ما أطلبه منك ، فى هذا اليوم ، شديد الأهمية ... بالنسبة لى على الأقل .

غمغم (كوربوف) فى بطء :

ـ هات ما لديك .

وعندما أخبره ما لديه ، ازدادت عينا (كوربوف) ، حتى بدتا أشبه بشريط ، أو بخيط ...

خيط رفيع ...

للغاية ...

***

تطلع قائد مرور العاصمة الأوكرانية ، فى وجه (سونيا) ومساعدها (باراك) ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ ما تطلبانه يخالف كل القوانين .

قالت (سونيا) فى هدوء صارم :

ـ كل القوانين يمكن أن تسقط ، أمام مليون دولار يا رجل .

حملت ملامح الرجل كل التوتر ، وهو يجفف عرقًا وهميًّا عن جبهته ، وبدا الصراع فى أعماقه واضحًا ، وبالذات فى صوته ، الذى تخاذل ، وهو يغمغم :

ـ يجب أن يتم هذا ، بكل السرية ... والسرعة .

أجابته (سونيا) :

ـ فلنبدأ فورًا إذن .

تردَّد الرجل لحظات أخرى ، ولكن صدى عبارة (مليون دولار) تردَّد فى ذهنه ، وأسال لعاب طمعه ، فغمغم ، وهو يتجه نحو حجرة مغلقة :

ـ اتبعانى إذن .

كانت الحجرة تحوى شاشة كبيرة ، وعدد ضخم من الإسطوانات الرقمية ، التى تم تسجيل تاريخ وتوقيت كل منها ، وقال فى توتر :

ـ يمكنكما استخدام الحجرة لربع الساعة ، قبل موعد النوبتجية التالية .

غمغم (باراك) :

ـ هذا يكفى .

بدأ عمله على الفور ، بانتقاء عدد من الإسطوانات ، و(سونيا) تغمغم :

ـ تعقبًا عكسيًّا .

أومأ برأسه :

ـ أعلم .

راحت تراقبه ، وهو يستعرض الأسطوانات ، واحدة بعد الأخرى ، وقائد المرور يتابعهما فى توتر شديد ، قبل أن يهتف ، فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ الوقت يمضى .

غمغمت (سونيا) بكل صرامتها :

ـ كدنا ننتهى :

أشار (باراك) إلى الشاشة فى ظفر :

ـ ها هى ذى .

هتف قائد المرور ، فى هذه اللحظة :

ـ دقيقة ويصل الرجال .

أجابته فى صرامة ، و(باراك) يدون عنوانًا على ورقة :

ـ سننصرف قبلهم .

هتف الرجل :

ـ والمكافأة ؟!

غادرت مع (باراك) ، وهى تقول :

ـ سيصلك الشيك فى الصباح .

تهللت أسارير الرجل ، وهو يهتف فى فرح :

ـ حقًّا ؟!

أشعلت (سونيا) سيجارتها ، وهى تركب سيارتها ، التى يقودها (باراك) ، وهذا الأخير يقول :

ـ أراهن أنه يضع الآن خطط تقاعده ، ويحلم بالمليون دولار .

نفثت دخان سيجارتها :

ـ فليحلم طيلة عمره ... اذهب إلى ذلك العنوان .

انطلق بالسيارة على الفور ، وهو يدرك أن الوصول إلى (أدهم) ورفيقيه قد صار وشيكًا ...

جدًّا ...

***

« ها هى ذى .... »

هتف بها (قدرى) ، وهو يناول (أدهم) ورقة ، فور عودته إلى المنزل الآمن الجديد ، فالتقط (أدهم) الورقة ، وهو يغمغم فى اهتمام :

ـ أأنت واثق ؟!

أجابه (قدرى) فى سعادة ظافرة :

ـ تمام الثقة ... لقد اخترقت جدارين ناريين ، بالغى التعقيد والصعوبة ، حتى أتيقن من المعلومة .

وعلى الرغم من ضخامته ، قفز إلى اللاب توب ، مضيفًا :

ـ ليس هذا فحسب ... لقد حصلت على نسخة من الاستمارة الرسمية أيضًا .

تطلع (أدهم) إلى شاشة الكمبيوتر فى اهتمام ، وقال :

ـ متى تستطيع صنع نسخة متقنة منها .

ألقى (قدرى) نظرة أخرى على الشاشة ، ثم أجاب :

ـ ثلاث ساعات .

قالت (منى) فى حماس :

ـ هكذا يمكننا الانتقال إلى الضربة القاضية .

أشار (أدهم) بسبَّابته :

ـ تبقت نقطة واحدة ، حتى تصبح الاستمارة مكتملة .

سألته (منى) :

ـ وكيف سنحصل عليها ؟!

أجابها مبتسمًا :

ـ (سيرجى) سيجلبها لنا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (إيفان) يقف أمام (كوالسكى) الغاضب ، وهو يقول :

ـ كل شىء فى ذلك المكان ، الذى أرشدنا الرجل إليه ، يؤكد أنهم كانوا هناك بالفعل .

سأله فى (عصبية) :

ـ وأين ذهبوا ؟!

هزَّ رأسه فى بطء :

ـ استخدموا خدعة إسعاف زائف للمغادرة ، والانتقال إلى مكان مجهول .

كظم (كوالسكى) غيظه ، ونفثه مع دخان سيجارة الضخم ، قبل أن يغمغم فى حنق :

ـ والرجل يطلب مكافأته .

غمغم (إيفان) :

ـ إنه لا يستحق شيئًا .

لوَّح (كوالسكى) بيده :

ـ الرجل أرشدنا إلى مكانهم بالفعل .

قال (إيفان) :

ـ ولكننا لم نظفر بهم .

صمت (كوالسكى) لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ولكننا ، إن لم نمنحه مكافأته ، سيتصور الكل أن حكاية المكافأة هذه خدعة ، ولن يتعاونوا معنا مرة أخرى .

غمغم (إيفان) مستنكرًا :

ـ وهل ستدفع مليون دولار ، مقابل لا شىء ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ مقابل مصداقيتنا فى الشارع يا (إيفان) ، والتى لو فقدناها ، نكون قد فقدنا كل شىء .

فتح درج مكتبه ، والتقط منه دفتر شيكاته ، وتردد لحظة ، ثم كتب المبلغ ، وذيَّل الشيك بتوقيعه ، قبل أن يناوله إلى (إيفان) ، قائلًا :

ـ سنضيف المبلغ إلى بند الخسائر ... أعط الشيك للرجل ، وأعلن فى كل مكان أن المكافأة مازالت سارية ، لكل من يرشدنا إلى (أدهم) هذا ، أو أحدًا من فريقه .

مطَّ (إيفان) شفتيه بعدم رضا ، وهو يلتقط الشيك ...

وازدادت نقمته على (أدهم) ...

ألف مرة ...

***

استعاد أحد رجال (كوربوف) وعيه فى صعوبة ، وبدت ذاكرته مثل بصره مشوشين ، وهو يحاول تمييز الشبحين اللذين يجلسان أمامه ، وهو يغمغم :

ـ أين أنا ؟!

أتاه صوت (سونيا) ، صارمًا قاسيًا ، وهى تقول :

ـ هل كان هجومنا مباغتًا ، حتى إنك لا تذكره ؟!

كلماتها أزالت بعض الضباب ، من عقل الرجل ، فتذكَّر كيف اقتحمت سيارة فجأة ذلك المخزن الصغير ، الذى يحتفظون فيه بسيارة الإسعاف الزائفة ، وارتطمت به مباشرة ، لتفقده الوعى ...

وعلى مسافة متر واحد منه ، شاهد زميله ملقى أرضًا ، وحوله بركة من الدم ، فتمتم فى توتر :

ـ هل ... هل ...

قاطعه (باراك) فى قسوة :

ـ لم يكن عليه أن يسحب مسدسه .

هتف فى عصبية :

ـ لقد قتلتماه .

أجابته (سونيا) ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى وجهه :

ـ وستلحق به ، لو رفضت إجابة أسئلتنا .

نقل بصره بين جثة زميله ، وملامحها الجميلة القاسية ، وهو يقول :

ـ أية أسئلة ؟!

مالت نحوه ، تسأله :

ـ أين ذهبت بمن نقلتهم سيارة الإسعاف هذه ؟!...

هزَّ رأسه فى توتر :

ـ لست أدرى .

صوَّب (باراك) مسدسه إلى رأسه :

ـ فى هذه الحالة .

هتف الرجل :

ـ أقسم أننى لست أدرى .

سألته (سونيا) :

ـ وكيف هذا ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ السيارة قادها زميل آخر ، ووصل بها بحمله إلى هنا ، ومهمتى هى حراسة السيارة فحسب .

صمتت (سونيا) لحظات مفكرة ، قبل أن تسأله :

ـ أهناك مخرج آخر لهذا المكان ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ نعم ... باب صغير خلفى ، يقود إلى شارع جانبى .

غمغمت محدثة نفسها :

ـ باب يقود إلى شارع جانبى ، بلا كاميرات أو أضواء كاشفة ... مازلت تجيد فن المناورة يا (أدهم) .

سألها (باراك) :

ـ هل سينتهى الخيط هنا ، بعد كل ما فعلناه ؟!

نفثت دخان سيجارتها ، مجيبة فى صرامة :

ـ كلا بالطبع .

وصمتت لحظة مفكرة ، قبل أن تضيف :

ـ (أدهم) يعلم أن رصد (قدرى) ، كفيل بكشف الأمر ، ولهذا سيضع خطة ، تتفادى كل الشوارع ، التى تمر على كاميرات مراقبة ، وهذا يعنى مسارًا عبر الشوارع الجانبية .

عادت إلى صمتها وأفكارها لحظات ، فسألها (باراك) :

ـ ماذا سنفعل بهذا الرجل ؟!

أشارت بيدها :

ـ إنه عذابه .

اتسعت عينا رجل المخابرات الروسى عن آخرهما ، عندما صوَّب (باراك) مسدسه ، المزوَّد بكاتم للصوت نحو رأسه ...

وفى سكون الليل ، دوت رصاصة ...

رصاصة مكتومة ...

وقاتلة ...

***

فى أحد شوارع (كييف) الجانبية الصامتة ، ارتفعت عقيرة أحدهم بغناء أجش ، وهو يسير مترنحًا ملوحًا بزجاجة خمر ، لم يتبق بها إلا القليل ، وتوقفت لحظة ، بدا خلالها وكأنه يفرغ ما بجوفه ، عند جدار أحد المنازل ، قبل أن يتابع سيره المترنَّح ، حتى زقاق ضيق ، دلف إليه ، ودخل أوَّل مبنى صادفه فيه ...

وفى مدخل المبنى ، اعتدل فى استقامة رياضية ، وانتظر لحظة ؛ ليتأكَّد من أن أحدًا لم يتبعه ، ثم راح يصعد فى درجات سلم المبنى القديم ، فى خفة ونشاط ، حتى بلغ شقة فى الطابق الثالث ، يوحى بابها بأن ساكنيها رقيقى الحال ، وطرق بابها ثلاث طرقات متباعدة ، بفاصل زمنى كبير نسبيًّا ، بين كل طرقة وأخرى ، ثم انتظر لحظات ، فتح أحدهم نافذة الباب بعدها ، وسأله فى غلظة :

ـ ماذا تريد ؟!

أجابه فى قوة :

ـ يقولون : إن الشمس تشرق هنا ، قبل أى مكان آخر .

مضت لحظة بعد قوله ، فتح الرجل بعدها الباب ، وظهر من خلفه (كوربوف) ، يقول :

ـ مرحبًا يا (أدهم) ... لابد وأن نجد وسيلة اتصال مباشر أخرى ، بخلاف رسالة الإنترنت تلك .

غمغم (أدهم) :

ـ ليس لدينا هاتف ، حيث نقيم .

كان (كوربوف) يدرك أنه لا يريد منحه رقم الهاتف ، حتى لا يستخدمه فى كشف موقع المنزل الآمن الآخر ، ولكنه تجاهل هذا ، وهو يقول :

ـ فليكن ... لقد حصلنا على ما تريد .

ثم ناوله ذلك الشيك ، الذى وقَّعه (كوالسكى) ، فتطلع إليه (أدهم) لحظة ، و (كوربوف) يتابع :

ـ هل ستستخدمون أمواله لمحاربته ؟!

رفع (أدهم) إليه عينين عابثتين ، وهو يجيب :

ـ بل سنهديكم إياه ...

رمقه (كوربوف) بنظرة متسائلة ، فأضاف ملوحًا بالشيك :

ـ سنحصل على صورته فحسب .

استخدم آلة تصوير ، فى ذلك المنزل الروسى الآمن ، للحصول على صورة دقيقة للشيك ، وهو يقول :

ـ هذا المنزل يبدو من الداخل ، أفخم كثيرًا مما يوحى به من الخارج .

غمغم (كوربوف) :

ـ ويحوى أحدث الأجهزة والمعدات الرقمية أيضًا .

ابتسم (أدهم) :

ـ تمويه جيد .

استعاد (كوربوف) الشيك منه ، وهو يسأله :

ـ هل يقوم رجلنا بصرفه ؟!

أجابه فى حزم :

ـ فور أن يفتح البنك أبوابه ، مثلما ينبغى أن يفعل أى شخص طبيعى .

وضع صورة الشيك فى جيبه فى حرص ، قبل أن يضيف :

ـ هل تذكر ما طلبته منك ؟!

أجابه (كوربوف) فى حزم :

ـ كل حرف منه .

التقط (أدهم) زجاجة الخمر شبه الفارغة ، وهو يقول :

ـ استعد لوضعه موضع التنفيذ إذن .

سأله (كوربوف) فى اهتمام ، وهو يقوده إلى الباب :

ـ متى تغادر ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ الآن .

وغادر المكان ، وهو يطلق عقيرته بالغناء الأجش مرة أخرى ، تاركًا خلفه (سيرجى كوربوف) ، مع ألف سؤال ...

بلا جواب ...

***

« هنا ... »

قالتها (سونيا) فى حزم ، وهى ترسم بسبَّابتها دائرة وهمية ، على خريطة (كييف) ، فتثائب (باراك) وهو يسألها :

ـ لماذا هذه الثقة ؟!

أجابته فى حزم :

ـ لو أنك تعرفه مثلما أعرفه ، لكنت أكثر ثقة .

تطلع إلى الخريطة لحظات ، وهو يقول :

ـ إنها مساحة واسعة ، تحوى عشرات البنايات ، ونحن فى ساعات الفجر ، ولم ننم بعد .

قالت فى صرامة :

ـ ستنام ، عندما ينتهى هذا .

تثاءب ، مغمغمًا فى اعتراض :

ـ المساحة كبيرة .

قالت فى حزم :

ـ ولهذا نحتاج إلى المساندة .

سألها :

ـ (فيكتور كوالسكى) ؟!

أجابته ، وهى تلتقط هاتفها :

ـ ومن سواه .

غمغم ، مسبلًا جفنيه فى تهالك :

ـ أتدركين كم نحتاج من رجال ، لفحص كل هذه المنازل ؟!

قالت ، وهى تسمع الرنين على الجانب الآخر :

ـ ليس فحصها فحسب .

سمعت صوت (كوالسكى) نصف النائم ، على الجانب الآخر ، فهتفت :

ـ مرحبًا (فيكتور) ... نعم ... أعلم كم الوقت الآن ، كف عن صراخك واسمعنى جيدًا ... أريد عددًا من رجالك ... كلا يا (فيكتور) ... أكثر ... أريد ألف رجل .

لم يفتح (باراك) عينيه فحسب ، عندما سمع عبارتها ...

لقد اتسعت عيناه ...

وعن آخرهما .

***

9 ـ ألف خطر ..

انعقد حاجبا (كوربوف) فى شدة ، وهو يتطلع إلى أحد رجاله ، مغمغمًا :

ـ ألف رجل ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى توتر :

ـ نعم يا كولونيل ... حاصروا المنطقة بالكامل ... أغلقوا الطرقات ، واحتلوا الأسطح ، واستخدموا كشافات قوية ، تحيل الليل إلى نهار ، وهم ينتشرون فى كل الطرقات والشوارع ، وحتى الأزقة .

ضاقت عينا (كوربوف) فى شدة ، وهو يكرِّر :

ـ ألف رجل ؟!... لا ريب أن رفاق (أدهم) هناك .

حك ذقنه العريضة لحظات ، قبل أن يتابع :

ـ لقد وعدته بحماية رفيقيه ، خلال فترة غيابه ، لو حاق بهم الخطر .

غمغم الرجل فى حذر :

ـ ولكن المواجهة مع هذا العدد مستحيلة يا كولونيل ... كل رجالنا هنا قرابة المائة ، وهم ألف رجل .

بدا (كوربوف) ، وكأنه يحدث نفسه :

ـ وحتى لو كان بإمكاننا ، (الكريملين) لن يوافق على مثل تلك المواجهة أبدًا .

تردَّد الرجل لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ أليس من الأفضل أن نتجاهل هذا إذن ؟!

تطلع إليه (كوربوف) لحظات ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ لقد وعدت (أدهم) .

تردَّد الرجل لحظة أخرى :

ـ لا مجال للوعود ، فى مثل هذه الظروف يا كولونيل .

هزَّ رأسه فى بطء :

ـ ولكننى لا أنكث بوعودى أبدًا .

لم يجد الرجل ما يقوله ، فاكتفى بالصمت ، وهو يتطلع إلى (كوربوف) ، الذى غرق فى صمت وتفكير عميقين ...

بعمق أعمق أعماق المحيط ...

أو أكثر عمقًا ...

بألف مرة ...

* * *

حمل صوت (قدرى) كل توتر الدنيا ، وهو يراقب عدة شاشات فرعية ، على شاشة اللاب توب الخاص به ، مغمغمًا :

ـ إنهم فى كل مكان ، ويفتشون كل البيوت .

شدَّت مشط مسدسها ، ودسَّت فى جيوبها عدة خزانات رصاص إضافية ، وهى تقول ، فى لهجة جمعت بين التوتر والحزم :

ـ هذا يعنى أنهم يجهلون أين نحن بالضبط .

هزَّ رأسه ، وغمغم :

ـ إنها مسألة وقت ... سيصلون إلينا ، إن آجلًا أو عاجلًا .

أطلقت زفرة عصبية ، وقالت :

ـ لا مناص من المواجهة إذن .

أشار إلى الشاشة فى يأس :

ـ مع هذا الجيش ؟!

قالت فى حزم ، وهى تعمل على تذخير عدة مسدسات أخرى :

ـ لن نستسلم هكذا يا (قدرى) .

ابتسم ابتسامة ، أكثر شحوبًا من وجهه ، ولوَّح بكفه :

ـ على الأقل ، نحن نساوى جيشًا ؛ للظفر بنا .

شدَّت قامتها فى اعتداد :

ـ ليس أقل من هذا .

زفر فى مرارة ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، ثم رفع عينيه إليها :

ـ (منى) ... هل تناولت طعام العشاء ؟!

أدهشها قوله ، فالتفتت إليه مستنكرة :

ـ (قدرى) !!!

نهض إلى البراد ، قائلًا فى حزم أدهشها :

ـ لن يقتلوننى بمعدة خاوية .

تطلعت إليه لحظات ، ثم وعلى الرغم من الموقف ، ابتسمت ، ودسَّت مسدسها فى حزامها ، مغمغمة :

ـ كم تدهشنى يا (قدرى) !!

نقل بعض الطعام إلى المائدة ، وجلس يلتهمه ، ويقول :

ـ هل أدعوك إلى العشاء ؟!

لسبب ما ، هدأ موقفه من توترها ، فاتجهت إلى المائدة ، ووضعت مسدسها إلى جوارها ، وهى تغمغم :

ـ بالتأكيد .

راحا يتناولان طعامهما فى هدوء عجيب ، على الرغم من أن الأمور حولهما تقترب من حافة الخطر ...

وتقترب ...

وتقترب ...

***

لم يكد رنين هاتف (كوالسكى) يرتفع ، حتى التقطه فى سرعة ، وهو يهتف :

ـ هل عثرتم عليهم ؟!

أدهشه أن سمع صوت (كوربوف) عبر الهاتف ، وهو يقول :

ـ عثرنا على من يا (فيكتور) ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ (سيرجى) ؟!... كيف عرفت هذا الرقم ؟!

تجاهل (كوربوف) سؤاله تمامًا ، وهو يقول :

ـ هل تبحث عن (أدهم صبرى) ؟!

أجابه متحديًا :

ـ يكاد يقع فى قبضتى الآن .

سرى توتر عنيف فى جسده ، عندما قال (كوربوف) بنفس البرود :

ـ عجبًا ، إننى أراقبه الآن ، وكل شىء هادئ من حوله .

كادت أصابع (كوالسكى) تعتصر هاتفه ، وهو يقول :

ـ تراقبه ؟!... أين ؟!

العنوان ، الذى أبلغه إياه (كوربوف) ، ضاعف من توتره ألف مرة ...

فذلك العنوان كان عند الطرف الآخر من المدينة ...

أبعد طرف عن تلك المنطقة ، التى يحاصرها ألف رجل من رجاله ، الذين جمعهم من كل صوب .

وبكل توتره ، سأله :

ـ أأنت واثق ؟!

أجابه (كوربوف) وبرودته تكاد تثلج أسلاك الهاتف :

ـ أقول لك : إننى أراقبه الآن .

صمت (كوالسكى) لحظات ، وكل ذرة فى كيانه ترتجف انفعالاً ...

هل خدعه (أدهم) مرة أخرى ؟!...

أم خدعته (سونيا) ؟!...

لقد أكَّدت له أنها واثقة تمام الثقة ، من المنطقة ، التى يختبئ فيها (أدهم) ورفيقيه ...

فهل كانت أيضًا ضحية لخدعة (أدهم) هذا ؟!...

هل ؟!...

« أين ذهبت ؟!... »

قطع (كوربوف) أفكاره وتوتراته ، بهذا السؤال البارد ، فاستعاد خشونته وصرامته ، وهو يقول :

ـ لو أنك تخدعنى يا (سيرجى) ، فـ ...

قاطعه (كوربوف) :

ـ فماذا ؟!

صمت لحظة أخرى ، ثم سأله فى توتر :

ـ ولماذا لم تظفر به ؟!

أجابه (كوربوف) :

ـ ولماذا أفعل ؟!... لا يوجد صراع بيننا وبين المخابرات المصرية ، فى هذه الأيام .

راح عقله يدرس الأمر ، فى حين أضاف (كوربوف) :

ـ ولقد تصوَّرت أنك ترغب فى الظفر به بنفسك .

سأله فى صرامة :

ـ لماذا يا (سيرجى) ؟!

لم يجب (كوربوف) ، فأضاف :

ـ لماذا تتطوَّع بإخبارى هذا ؟!

أجابه (كوربوف) فى برود شديد :

ـ مجرد هدية ؛ لإثبات ما ستفيد منه ، لو تعاونا معًا .

قالها (كوربوف) ، وأنهى المحادثة فورًا ، فتجمَّد (كوالسكى) لحظات ، وهو مازال يمسك الهاتف ، إلى جوار أذنه ، قبل أن يخفضه فى بطء ، وهو

يعتصر ذهنه جيدًا ، ثم لم يلبث أن رفع الهاتف إلى أذنه ، وهو يضغط زر اتصال سريع ، وما أن سمع صوت محدثه ، حتى قال فى حزم :

ـ اسحب كل الرجال يا (إيفان) .

أدهشت المحادثة (إيفان) ، فغمغم :

ـ كدنا ننهى الأمر أيها الزعيم .

أجابه فى حدة :

ـ ستنسحبون فورًا ، إلى العنوان الجديد ... فورًا يا (إيفان) .

كانت دهشة (سونيا) عارمة ، عندما شاهدت رجال (كوالسكى) ينسحبون ، وهتفت :

ـ ماذا يفعل هؤلاء الأغبياء ؟!

غمغم (باراك) بنفس الدهشة :

ـ من الواضح أنهم ينسحبون .

صرخت :

ـ لماذا ؟!... بقيت ثلاثة منازل فحسب !!

لم يحر جوابًا ، فاكتفى بهز رأسه وكتفيه ، مما جعلها تلتقط هاتفها فى حدة :

ـ أغبياء .

ضغطت أزرار هاتفها فى سرعة ، وما أن سمعت صوت محدثها ، حتى قالت فى صرامة :

ـ (إيهود) ... أريد دعمًا عاجلًا ، من رجال مكتبنا فى (كيف) .

فى نفس اللحظة ، التى قالت فيها عبارتها ، كان (قدرى) يغمغم فى دهشة ، وهو يراقب الشاشات الفرعية .

ـ إنهم ينسحبون !!

أمسكت (منى) مسدسها ، وهى تقول فى توتر :

ـ حقًّا ؟!

راقبت انسحاب رجال (كوالسكى) على الشاشة ، وقبضت أصابعها على مقبض مسدسها ، على نحو غريزى ، وهى تستطرد :

ـ أهذا انسحاب تكتيكى أم ماذا ؟!

هزَّ رأسه ، علامة على الحيرة ، فتابعت ، وهى تمسك مسدسها فى قوة :

ـ ربما يتصوَّرون أن انسحابهم سيرخى أعصابنا ، ويدفعنا لمحاولة الخروج من هنا .

هزَّ رأسه مرة أخرى ، متمتمًا :

ـ لست أدرى !

وكان بالفعل يجهل ما يحدث ...

تمامًا ...

***

« هل تعتقد أنه قد ابتلع الطعم يا كولونيل ؟!... »

ألقى رجل المخابرات الروسى السؤال فى اهتمام ، فتطلع إليه (كوربوف)، لحظات فى صمت ، ثم اعتدل فى مقعده ، قائلًا :

ـ لفترة كافية .

غمغم الرجل فى قلق :

ـ ما الفائدة المرجوة إذن ؟!

أشار (كوربوف) بيده :

ـ لقد بررت بوعدى لـ(أدهم) .

اعتدل الرجل ، قائلًا فى استنكار :

ـ أهكذا نعمل ؟!

مال (كوربوف) إلى الأمام ، مجيبًا فى صرامة :

ـ هكذا نحافظ على علاقتنا الجيدة ، فى الوقت الحالى مع المصريين .

تساءل الرجل :

ـ وماذا عن علاقتنا بـ(كوالسكى) ؟!

تراجع ، مجيبًا فى برود :

ـ ماذا عنها ؟! ... لقد قدمنا له خدمة ، وأرشدناه إلى موقع (أدهم صبرى) .

قال الرجل فى توتر :

ـ ولكن (أدهم) ليس فى (أوكرانيا) كلها ، حسبما نعلم .

أجابه فى صرامة :

ـ و(كوالسكى) لا يعلم ... نحن أنفسنا نجهل أين هو ، ولماذا غادر (أوكرانيا) ، فى هذا الوقت .

بدا الضيق واضحًا ، فى ملامح الرجل ولهجته ، وهو يغمغم :

ـ سرعان ما سيكتشف ، أننا قد قدناه إلى هدف زائف .

كان (كوربوف) شديد البرود ، وهو يقول :

- أو سيتصوَّر أن رجاله قد وصلوا ، بعد فوات الأوان .

صمت الرجل تمامًا بعد هذا الجواب ، ولكن ملامحه ظلت تحمل الكثير من الاستنكار ، وعدم الرضا ...

وبدا من الواضح أنه هناك فكرة ما ، تدور فى رأسه ...

تدور كالإعصار ...

أو أشد ...

* * *

بدا (قدرى) مرهقًا ، وهو يطالع شاشة اللاب توب ، وانطلقت من صدره زفرة ملتهبة ، وهو يغمغم :

- متابعة الكاميرات الصغيرة ، التى تم زرعها حولنا ، أصاب عينىَّ بالإرهاق، وهما تجاهدان للبقاء مفتوحتين .

مسَّت (منى) كتفه فى رفق :

- ارتح أنت ، وسأتولى أنا المراقبة .

أسبل جفنيه ، وهو ينهض مغمغمًا :

- أشكرك .

جلست أمام اللاب توب ، فى حين فرد هو جسمه ، على مقعد وثير ، وهو يغمغم :

- مازال انسحابهم المفاجئ يحيرنى .

صمت لحظة ، ثم أضاف ، وهو يفرد جسمه أكثر :

- ويقلقنى .

أومأت (منى) برأسها فى اتفاق ، وقالت :

- أشاركك هذا ، ولكن من الواضح أن تدخلًا ما حدث .

سألها ، وهو يقاوم النوم :

- من (أدهم) ؟!

صمتت لحظات مفكرة ، قبل أن تجيب فى بطء :

- أو بإشرافه .

أسند رأسه على ظهر المقعد ، وتخاذل صوته ، وهو يتمتم :

- لو سار كل شىء على ما يرام ، المفترض أن يعود صباح الغد .

حكَّت أنفها لحظة ، متسائلة :

- أأنت واثق من كل ما أنجزته ؟!

تمتم ، وهو يغوص فى عالم النوم :

- من العار إلقاء مثل هذا السؤال .

كان يهم فى الغوص فى محيط النوم العميق ، عندما سمعها تهتف فجأة :

- يا إلهى !!

فتح عينيه ، واعتدل فى سرعة ، هاتفًا :

- ماذا هناك ؟!

هتفت ، مشيرة إلى شاشة اللاب توب :

- انظر .

على الرغم من ضخامته ، وثب إلى اللاب توب ، واتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يطالع ما تنقله تلك الشاشات الفرعية ...

فقد كان ما يراه مفاجأة كبيرة ...

كبيرة جدًّا ...

***

« لم نعثر له على أدنى أثر ... »

نطقها (إيفان) فى مزيج من الصرامة والبرود ، فانعقد حاجبا (كوالسكى) فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ كيف هذا ؟! ... لقد أكَّد لى (سيرجى) ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، واستغرق فى التفكير بضع لحظات ، ثم رفع عينيه إلى (إيفان) ، قائلًا فى غضب شرس :

ـ لقد خدعنا ذلك الكولونيل الروسى الحقير .

غمغم (إيفان) :

ـ أراد إبعادنا عن ذلك الحى .

ازداد انعقاد حاجبى (كوالسكى) ، وهو يقول :

ـ وعنهم .

حفر الغضب ملامحه على وجهه ، كأخاديد عميقة ، قبل أن يهتف :

ـ ذلك الروسى لابد وأن يموت .

ثم أمسك ذراع (إيفان) فى قوة :

ـ أرسل الرجال مرة أخرى ، إلى ذلك الحى ، واستبق لديك سبعة منهم .. أريد جثة ذلك الروسى ، قبل مطلع الفجر .

خلَّص (إيفان) ذراعه من قبضته ، قائلًا :

ـ لست أنصح بهذا .

صرخ فيه فى عصبية :

ـ ليست أوَّل مرة ، نقتل فيها رجل مخابرات روسى .

بدا صوت (إيفان) صارمًا ، وهو يقول :

ـ ليس (سيرجى كوربوف) .

حدَّق (كوالسكى) فى وجهه ، دون أن ينطق ، فتابع (إيفان) :

ـ إنه نجم المخابرات الروسية ، وقتله سيكون بمثابة إعلان حرب .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ ولا تنس أن رجالهم منتشرون ، فى كل مكان هنا ، والتكنولوجيا الروسية شديدة التطور ، وهم قساة القلوب ، لا يعنيهم كم يسفكون من الدم ، من أجل الفوز بمعاركهم .

هتف (كوالسكى) ، وجسده كله يرتجف انفعالًا :

ـ هل سنتركه يفلت بفعلته ؟!

لم يجب (إيفان) ، ولكنه تطلع إلى عينى زعيمه فى برود ، والتقت نظراتهما بضع لحظات ، فى صمت تام ...

صمت حمل ألف جواب ...

وجواب ...

***

فحصت (سونيا) فى سرعة ذلك الجهاز الحديث ، الذى أرسله إليها (إيهود) من سفارة (إسرائيل) ، وغمغمت تسأله :

ـ هل سيؤدى عمله جيدًا ؟

أجابها عبر الهاتف :

– إنه من أحدث ما ابتكرته العقول الفنية ، من تكنولوجيا عالم المخابرات .. سيخترق كل الأبواب ، ويريك ما خلفها ، دون الحاجة إلى اختراقها فعليًا .

سألته بكل اهتمامها :

– هل اختبرته من قبل ؟!

طال صمته عبر الهاتف ، قبل أن يجيب :

– يمكنك اعتبار هذا أوَّل اختبار لفاعليته ، بالنسبة لنا .

لم يرضها الجواب ، ولكنها غمغمت :

– فليكن .

أشارت إلى رجال أمن السفارة ، الذين أرسلهم أيضًا ، وهى تنهى المحادثة معه :

– رجال (كوالسكى) تركوا ثلاثة أبنية فقط ، فى كل منها عشر شقق .. سنفحصها كلها ، قبل طلوع الشمس .

سألها أحدهم فى اهتمام :

– وماذا سنفعل ، لو عثرنا عليهم ؟!

أشارت إلى صدرها فى حزم :

– سيصيرون ملكى .

نقلت الكاميرات الخفية الصغيرة ، التى تم زرعها حول المنزل الآمن ، تلك المحادثة ، إلى شاشات المراقبة الفرعية ، على اللاب توب ، فغمغم (قدرى) فى توتر :

– سيعثرون علينا حتمًا ، بوساطة ذلك الشىء .

سحبت مسدسها ، قائلة فى حزم :

– لن ننتظرهم .

سألها مرتبكًا :

– ماذا ستفعلين ؟!

دسَّت مسدسين إضافيين فى حزامها ، وهى تجيب :

– سأقاوم .

ثم انطلقت نحو الباب فى حزم ...

لقد كانت تعنى كل حرف نطقت به ...

ستقاوم ...

حتى الموت ...

***

« ماذا بك ؟!... »

ألقى (قدرى) السؤال ، وهو يضع كوب شاى آخر ، أمام (عادل) ، الذى تطلع إليه لحظة ، ثم تمتم :

– ماذا تعنى يا سيدى ؟!

جلس (قدرى) قبالته :

– كنت تبدو شديد الشغف ، ثم فجأة ، شعرت أنك لم تعد تستمتع بما أرويه .

تردَّد (عادل) لحظة ، ثم غمغم :

ـ ما ترويه مشوق دومًا يا سيد (قدرى) .

سأله (قدرى) ، وهو يرتشف الشاى فى استمتاع :

ـ ماذا إذن ؟!

تردَّد (عادل) لحظة أخرى ، فأشار إليه (قدرى) ، قائلًا :

ـ التردد ليس أحد سمات رجل المخابرات الناجح .

زفر (عادل) ، وهو يقول :

ـ ليس ترددًا يا سيدى ، بقدر ما هو حيرة .

سأله فى هدوء :

ـ بشأن ماذا ؟!

هزَّ رأسه فى ضيق :

ـ باستثناء عملية الفرار ، من قلعة (كوالسكى) ، لم أر حتى الآن ، داعيًا من وجودكما ... سيادة المقدم (منى) وسيادتك ، فى هذه العملية ... فسيادة العميد (أدهم) هو من يتولى كل الأمور .

تطلع إليـه (قـدرى) بضع لحظـات ، مـع ابتسـامة هادئة رصينة ، ثم مال نحوه ، مغمغمًا فى هدوء ، يحمل لمحة أبوية حانية :

ـ لو كان الأمر بيدى ؛ لأعدت تدريبك منذ البداية .

تراجع (عادل) مصدومًا :

ـ لماذا يا سيد (قدرى) ؟!... ماذا فعلت ؟!

رفع (قدرى) ثلاثة أصابع وهو يسأله :

ـ ما هى الثلاثة (صاد) فى عالمنا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ الصمت والصبر والصمود .

مال (قدرى) نحوه مرة أخرى ، قائلًا :

ـ أين الصبر إذن ؟!

ارتبك (عادل) ، وهو يغمغم :

ـ ليست مسألة صبر ، ولكن ...

بدا وكأنه يبحث عن كلمة ناقصة ، فغمغم (قدرى) يستحثه :

ـ ولكن ماذا ؟!

أشار بيده لحظات فى صمت ، ثم زفر ، وهو يجيب :

ـ أنا أعلم أنكما قد نجوتما من كمين (سونيا جراهام) ، أفعى (الموساد) الشهيرة ؛ بدليل أنكما هنا ، ولكننى بدأت أتسأل : ما الهدف من هذه العملية كلها ... والأهم ... من ذلك الذى قتله سيادة العميد (أدهم) عمدًا ؟!

أطلق (قدرى) ضحكة قصيرة ، وغمغم :

ـ مشكلة الصبر مرة أخرى .

وارتشف رشفة أخرى من الشاى ، قبل أن يتابع :

ـ أوَّلًا ، نحن لم ننج من كمين (سونيا) .

هتف مندهشًا :

ـ حقًّا ؟!

تابع (قدرى) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ أما الهـدف ، فقـد حـار فيـه الجميـع ، حتـى ألقـاه (أدهم) فـى وجه (كوالسكى) فى عنف .

أومأ (عادل) برأسه :

ـ حسنًا يا سيد (قدرى) ، سألتزم الصبر ، ولن ألقى أية أسئلة ، حتى تنتهى من روايتك .

ابتسم (قدرى) ، وأزاح كوب الشاى الفارغ جانبًا ، مغمغمًا :

ـ هذا أفضل .

ثم عاد يروى ...

بكل التفاصيل .

***

10 ـ الأسرى ..

« ماذا حدث يا (سيرجى) ؟! ... »

ألقى (أدهم) السؤال على (كوريوف) بكل صرامة ، قبل أن يضيف :

ـ لقد عهدت إليك مهمة حماية رفيقىّ ، أثناء غيابى عن (أوكرانيا) .

أجابه (كوريوف) فى بطء :

ـ ولقد فعلت .

قال (أدهم) ، بنفس الصرامة :

ـ المنزل الجديد عدت لأجده فى فوضى عارمة ... الأبواب والنوافذ محطمة ، وقنابل دخان فارغة ، تملأ كل الحجرات تقريبًا ، وجيش من رجال الشرطة والأدلة الجنائية ، ينتشرون فى كل شبر فيه .

صمت (كوريوف) لحظة ، ثم مال نحوه :

ـ (كوالسكى) حاصر ذلك الحى ، بألف من أشد مقاتليه ، جمعهم من كل مكان فى البلاد ، وكان من الممكن أن يظفروا برفيقيك ، ولكننى نجحت فى إبعاد جيشه هذا .

سأله فى صرامة :

ـ وماذا حدث بعدها ؟!

لوّح بكفه :

ـ تلك الأفعى (سونيا جراهام) ، استعانت برجال أمن السفارة الإسرائيلية هنا ، ونجحت فى الوصول إليهم .

سأله فى غضب :

ـ وماذا فعلت بهما ؟!

أجابه فى بطء :

ـ أسرتهما .

صمت (أدهم) ، وبدت ملامحه جامدة ، على الرغم من ذلك الإعصار من المشاعر ، الذى تموج به أعماقه ، وتمتم :

ـ لن تأسرهما دون قتال .

سأله (كوربوف) فى اهتمام :

ـ ولكنك كيف علمت ما حدث هناك ؟!... كيف مررت عبر رجال (كوالسكى) ، الذين مازالوا هناك ، يتربصون بك تحديدًا .

أجابه فى حزم :

ـ أخبرتك أن جيشًا من رجال الشرطة كان هناك .

قال (كوربوف) :

ـ (كوالسكى) اشترى نصف رجال الشرطة هنا ، ولا أحد منهم سيجرؤ على حمايتك .

أجابه فى اقتضاب :

ـ كنت واحدًا منهم .

صمت (كوربوف) يتطلع إليه لحظات ، ثم تمتم :

ـ لا شك فى أنك أستاذ فى مضمارك .

مال (أدهم) نحوه ، متجاهلًا تعليقه ، وهو يسأله :

ـ أين هم الآن ؟!

أشار (كوربوف) بيده :

ـ هناك .

ثم أضاف ، فى صرامة باردة كالثلج :

ـ فى قلعة (كوالسكى) .

وانعقد حاجبا (أدهم) ...

انعقدا بشدة ...

* * *

انتفخت أوداج (كوالسكى) ، وألقى نظرة ظافرة ، على (منى) و(قدرى) ، اللذان يقفان أمامه ، مقيدين بالأغلال ، والتفت إلى (سونيا) ، قائلًا :

ـ كنت سأعتبره نصرًا كاملًا ، لو كان (أدهم) هذا معهما هنا الآن .

نفثت دخان سيجارتها ، قائلة فى هدوء واثق :

ـ وجودهما سيجلبه إلى هنا .

سأل فى شغف :

ـ متى ؟!

كان ينتظر الجواب ، من بين شفتى (سونيا) ، ولكنه أتاه صارمًا صادمًا ، بصوت (منى) :

ـ لا تعجّل نهايتك .

التفت إليها فى حدة ، فتابعت :

- فلو وصل (أدهم) إلى هنا ، سيصل لتدميرك فحسب .

ظلَّ يتطلع إليها بنظرة من نار ، قبل أن يتجه إليها ، ويمسك ذقنها بسبَّابته وإبهامه ؛ ليرفع وجهها إليه ، وهو يقول فى شراسة :

- ما رأيك لو أطعم لسانك لكلابى ؟!

أجابته متحدية :

- سيستسيغون طعم مؤخرتك أكثر .

لم تكد تقولها ، حتى فوجئ (قدرى) يقهقه عاليًا ، على الرغم من الموقف، فهتف به فى حدة :

- هل راقت لك دعابتها المبتذلة ؟!

أجابه (قدرى) فى سرعة :

- جدًّا .

انتقل إليه ، قائلًا فى شراسة :

- من الواضح أنك ستكون وجبة دسمة لكلابى .

أجابه (قدرى) ، فى سخرية عجيبة :

- هل لديك العدد الكافى من الكلاب ؟!

هتف (كوالسكى) فى حنق :

- ماذا بهما ؟!

أجابته (سونيا) :

- لا تجيد التعامل معهما فحسب .

ثم نهضت إلى (قدرى) ، تسأله فى هدوء :

- أية خدعة تخفيان ؟!

أجابها (قدرى) فى سخرية :

- هل تتوقعين منى إخراج أرنب من جيبى ؟!

قالت فى هدوء :

- لن يدهشنى أن تفعل .

ثم أشارت بيدها ، مضيفة ، وهى تشيح بوجهها :

- ولكن هناك ما لن تفعله ، فى الأيام القادمة .

عادت تجلس على مقعدها ، ونفثت دخان سيجارتها ، وهى تضيف ، فى لهجة جذلة :

- الأكل .

انعقد حاجبا (قدرى) ، وهو يغمغم فى عصبية :

- الأكل .

أشارت بيدها :

- سيتم حبسك فى زنزانة صغيرة ، لا تتناول فيها سوى الماء فحسب ، حتى تخبرنا بكل ما نريد .

غمغم مرة أخرى ، و (أيجور) يدفعه أمامه ، وهو يطلق زمجرة وحشية :

- الأكل ؟! ... كلا .

ثم هتف فى حدة :

- هذا ينافى أبسط حقوق الإنسان .

نفثت (سونيا) دخان سيجارتها مرة أخرى ، وهى تغمغم :

ـ دورك الآن يا عزيزتى (منى) .

أجابتها (منى) متحدية :

ـ هل ستحرميننى من الطعام أيضًا ؟!

غمغمت (سونيا) :

ـ ليست هذه نقطة ضعفك .

ثم نهضت إليها ، فى حركة حادة :

ـ نساء العرب لديهن نقطة ضعف أخرى .

اتجهت نحو (منى) ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهها ، مضيفة :

ـ شرفهن .

احتقن وجه (منى) ، وهى تهتف بها :

ـ إياك حتى أن تحاولى .

قهقهت (سونيا) ضاحكة ، وقالت :

ـ أرأيت .

ثم عادت إلى (كوالسكى) ، وجلست على ركبتيه ، على نحو جعل قلبه يرتجف ، وهى تقول :

ـ ضعها فى زنزانة صغيرة يا (فيكتور) ، وامنحها ساعة واحدة ، وبعدها أرسل إليها اثنين ، من أقوى رجالك .

غمغم :

ـ فهمت .

ثم أشار إلى (إيفان) ، مضيفًا :

ـ نفذ .

رمقت (منى) (سونيا) بنظرة غاضبة ، وهى تقول :

ـ هذا أحقر ما يمكن أن تفعله امرأة بأخرى .

هزت (سونيا) كتفيها فى لامبالاة :

ـ إنها حرب .

سألها (كوالسكى) ، فور خروج (منى) :

ـ واثقة من أنهما يخفيان شيئًا .

نهضت من على ساقيه فى صرامة :

ـ لم يأتيا إلى هنا للسياحة .

ضايقه أنها نهضت ، ولكنه أخفى شعوره ، وهو يسألها :

ـ كيف ظفرت بهما ؟!

شردت ببصرها :

ـ لم يكن هذا سهلًا ...

وراحت تستعيد تلك اللحظات ...

العصيبة ...

***

« ها هو ذا منزلهم ... »

نطقتها (سونيا) فى انفعال ، فغمغم (باراك) متحمسًا :

ـ أأنت واثقة ؟!

أشارت إلى ظلين ، ارتسما على شاشة الجهاز :

- ذلك الظل الصغير هو (منى) ، والضخم (قدرى) ... إنهما متحفزان ويعلمان أننا أمام بابهما .

سألها فى قلق :

- كيف يعلمان ؟!

أشارت بيدها إلى كاميرا دقيقة ، مغروسة أعلى الباب ، فبهت مغمغمًا :

- نحن مكشوفان إذن .

ابتسمت ، ورفعت عينيها إلى الكاميرا مباشرة :

- هذا هو الغرض من وجودنا هنا .

ثم اتسعت ابتسامتها ، متحدية الكاميرا ، ومستطردة :

- الإلهاء .

لم تكن تنطقها ، ويستقبلها لاب توب (قدرى) ، حتى تحطمت نوافذ المنزل كلها ، دفعة واحدة ، بقنابل مسيلة للدموع ، تفجّرت فى كل مكان ، وغمرت الشقة كلها تقريبًا ، فأطلقت (منى) رصاص مسدسها بكل قوتها ، على باب الشقة ، وراح (قدرى) يسعل فى عنف ، وشعر بنيران تندلع فى عينيه ، وهو يحاول بلوغ اللاب توب ...

ثم دوت صرخات رجال (سونيا) ، الذين اقتحموا النوافذ من كل صوب ...

وهنا أدارت (منى) مسدسها ، لتطلق النيران ، نحو مواقع النوافذ التى تذكرها ، ولكن الدخان جعلها عمياء تمامًا ، وصدرها يشتعل به ، وهى تسمع صوت تحطم الباب العنيف ، ثم سمعت صرخة (قدرى) :

- ابتعد عنى .

ثم صوت ارتطام اللاب توب بالأرض ، وتحطمه ...

وأحاط بها عدد من الرجال ...

وقبضوا على ذراعيها ، يكبلون حركتها ، وأحدهم ينتزع مسدسها من يدها ،

فراحت تقاوم ، وتقاتل ...

وتقاتل ...

وتقاتل ...

ولكن الدخان جعل صدرها ضيقًا ...

وأنفاسها متلاحقة شاحبة ...

وعقلها يغوص فى ضباب كثيف ...

ثم سمعت صوت (سونيا) تهتف :

- أريدهما على قيد الحياة .

وكان هذا آخر ما سمعته ...

على الإطلاق ...

* * *

رفع مدير المخابرات المصرية عينيه ، إلى نائبه الأوّل ، الذى وضع أمامه تقريرًا فى صمت ، فالتقطه المدير ، مغمغمًا :

- من أين ؟!

أجابه النائب فى سرعة :

- (كيف) ... لقد خسرنا اثنين من منازلنا الآمنة .

التقط المدير التقرير ، وقرأه فى سرعة ، ثم أعاده إلى سطح مكتبه ، وهو يقول :

ـ المفترض أنها عملية غير رسمية .

أجابه النائب :

ـ وحدنا نعلم هذا يا سيادة الوزير ، ولكن إخفاء الأمر صار صعبًا ، بعد فقدنا للمنزل الآمن الثانى ، والذى اقترن بهجوم عنيف ، يستحيل التغطية عليه .

قال المدير :

ـ الأوراق الرسمية ستقول : إن الإسرائيليين قد كشفوا ذلك المنزل الآمن ، وعمدوا إلى تدميره عمدًا .

غمغم النائب :

ـ ولماذا استخدموا قنابل الدخان ، والغاز المسيل للدموع ؟!

أشار المدير بيده :

ـ خشية أن يكون هناك أحد داخله .

تنهّد النائب ، وقال :

ـ سأحاول بلورة الأمر ، فى هذه الصورة .

تراجع فى مكتبه ، قائلًا :

ـ افعل .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ هل هناك أية أخبار عن الفريق ؟!

هزّ النائب رأسه ، مجيبًا :

ـ القليل .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ كون العملية غير رسمية ، منعنا من استخدام الوسائل المعتادة ، وليس لدينا سوى ما رصده رجال مكتبنا ، ضمن عملهم التقليدى .

سأله فى اهتمام :

ـ وما الذى رصده ؟!

أجابه فى اهتمام :

ـ وجود (سيرجى كوربوف) و(سونيا جراهام) فى (كييف) .

حكّ ذقنه لحظات مفكرًا ، ثم سأل :

ـ وماذا عن (كوالسكى) ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ (سونيا) ذهبت إليه ، فى سيارة مغلقة ، تشبه سيارات السجون .

عاد المدير يحك ذقنه ، وتفكيره يزداد عمقًا ...

تلك المعلومات ، التى رصدها مكتب (كييف) قد لا تعنى شيئًا ...

وقد تعنى كل شىء ...

كل شىء بالفعل ...

* * *

« ماذا ستفعل ؟! ... »

ألقى (كوربوف) السؤال على (أدهم) ، المستغرق فى التفكير ، أمام المائدة الجانبية القصيرة ، فأجابه دون أن يلتفت إليه :

ـ سأنقذهما .

قال (كوربوف) ، وهو ينهض إليه :

ـ لو أنهما على قيد الحياة .

هزَّ (أدهم) رأسه فى بطء :

ـ لن يقتلهما (كوالسكى) .

غمغم (كوربوف) :

ـ إنه سفاح .

عاد (أدهم) يهز رأسه بنفس البطء :

ـ لن يقتلهما ؛ لأنه سيستخدمهما كفخ العسل ، الذى يجذبنى إليه .

مطَّ (كوربوف) شفتيه :

ـ لست أظنه ساذجًا إلى هذا الحد .

أجابه (أدهم) :

ـ بل هو شديد الغطرسة والغرور .

عقد (كوربوف) حاجبيه الكثين :

ـ تعتقد أنه سيتصوَّر ، أنك ستذهب إليه بقدميك .

صمت (أدهم) لحظات ، ثم أجاب :

ـ بل هو يجلس الآن ، فى انتظار هذا .

غمغم (كوربوف) :

ـ غير معقول !!

عاد (أدهم) إلى صمته لحظات ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ هناك اتحاد بينه وبين (سونيا) الآن ... وهى أكثر من يعرفنى جيدًا ، من بين كل من واجهتهم .

تمتم (كوربوف) :

ـ سمعت أنك كنت متزوجًا منها .

تجاهل (أدهم) العبارة تمامًا ، وهو يتابع :

ـ وهى واثقة من أننى لن أتخلى عن رفاقى أبدًا .

صمت (كوربوف) لحظات هذه المرة ، ثم قال فى برود صارم :

ـ لقد ضاعفوا إجراءات الأمن ثلاث مرات ، منذ نجاحك فى الفرار من قلعته ... لقد اتبع نصيحتك ، ولديه الآن خطة تأمين إضافية ؛ لمنع أى كائن من الخروج من قلعته .

غمغم (أدهم) :

ـ كنت أتوقع هذا .

اعتدل (كوربوف) ، يسأله فى حزم :

ـ وعلى الرغم من هذا ، تفكر فى الذهاب إليه .

أجابه (أدهم) ، وهو يلتفت إليه :

ـ ومن البوابة الرئيسية .

تطلع كل منهما ، إلى عينى الآخر مباشرة ، ثم قال (كوربوف) فى بطء :

ـ هل تفكر فى الحصول على مساعدة منا ؟!

أجابه فى حزم :

ـ بالتأكيد ... ألم تقل إننا شريكين ، فى هذه العملية .

قال (كوربوف) فى صرامة :

ـ هذا لا يعنى أن أجازف ، بكل رجل لدى .

اكتفى (أدهم) بابتسامة شاحبة ، فمال (كوربوف) نحوه ، متسائلًا :

ـ ماذا تتوقع منا يا (أدهم) ؟!

مال (أدهم) نحوه ...

وأخبره ...

وضاقت عينا (كوربوف) بشدة ...

بمنتهى الشدة ...

***

تنحنح (إيفان) ، وهو يدخل حجرة مكتب (كوالسكى) ، فابتعد هذا الأخير عن (سونيا) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا هناك يا (إيفان) ؟!

تنحنح (إيفان) مرة أخرى ، وتابع ببصره (سونيا) ، وهى تبتعد ، وتشعل سيجارة طويلة رفيعة ، وقال :

ـ ذلك الرجل (أدهم صبرى) .

سأله الاثنان ، فى آن واحد :

ـ ماذا عنه ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ رصده رجالنا فى (كييف) .

انعقد حاجبا (سونيا) ، ونفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، مغمغمة :

ـ حقًّا ؟!

أما (كوالسكى) ، فهتف :

ـ أين رصدوه ؟!

أجابه ، والحيرة تبدو واضحة فى صوته :

ـ كان يستأجر سيارة رباعية الدفع .

سألته (سونيا) :

ـ بوجهه ؟!... بدون أى تنكر ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، و (كوالسكى) يقول :

ـ سأدفع نصف مليون دولار ، لمن ...

قاطعته (سونيا) فى صرامة :

ـ كفى يا (فيكتور) .

التفت إليها فى حركة حادة ، فتابعت :

ـ لو واصلت هذا الأسلوب مع (أدهم) ، ستخسر كل شىء .

هتف بها فى غضب :

ـ إنه فى قبضتنا ، لأوَّل مرة .

هتفت به بدورها :

ـ مما يعنى أنه قد أراد هذا .

سألها (إيفان) :

ـ ماذا تعنين ؟!

نفثت دخان سيجارتها فى قوة ، وكأنما تنفث معها كل توترها ، وكل العصبية والانفعال فى أعماقها ، قبل أن تتابع فى توتر :

ـ عندما يخرج (أدهم) بوجهه الحقيقى ، وبدون أى تنكر ، فى شوارع (كييف) ، على نحو مباشر ، وهو يعلم أنك تبحث عنه يا (كوالسكى) ، فهذا يعنى أن لديه خطة ما فى رأسه .

سرى القلق فى نفس (كوالسكى) ، وهو يغمغم :

ـ خطة مثل ماذا ؟!

هزَّت رأسها ، مجيبة :

ـ لست أدرى بعد ، ولكننى واثقة مما أقول .

انعقد حاجباه فى شدة ، محاولا فهم أو استنتاج الأمر ، فى حين غمغم (إيفان) فى صرامة :

ـ لدى ستة رجال يراقبونه ، ويتابعونه ، ويمكننى جمع ضعفى هذا العدد ، و ...

قاطعته (سونيا) فى حدة :

ـ هل سمعت يومًا عن لغة العقل ؟!

بذل جهدًا خرافيًّا ؛ للحفاظ على بروده ، وهو يقول :

ـ لا تنسى أننى رجل مخابرات سابق .

هتفت به :

ـ لماذا لا تعرف سوى لغة القوة إذن ؟!

أجاب فى حزم :

ـ لأنها اللغة التى يعرفها هو .

هتفت :

ـ خطأ .

ثم استطردت ، وهى تهب من مقعدها ، وترمى بقايا سيجارتها ، على طول يدها :

ـ يهزمكم (أدهم) دومًا ؛ لأنكم تتصورون أنها لعبة قوة وليست لعبة عقل ، على عكس ما يرى هو .

ارتفع رنين هاتف (إيفان) فى هذه اللحظة ، فأنقذه من مناقشة (سونيا) ، مما جعله يرفعه إلى أذنه فى سرعة ، هاتفًا :

ـ ماذا هناك ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى محدثه ، ثم قال فى حزم :

ـ اتخذوا كل ما يلزم .

سأله (كوالسكى) ، وهو ينهى المحادثة :

ـ ما الجديد ؟!

رفع عينيه إليه ، مجيبًا :

ـ ذلك الرجل ... (أدهم صبرى) ... إنه يقود سيارته ، إلى هنا مباشرة .

بُهت (كوالسكى) ، فى حين غمغمت (سونيا) :

ـ إلى هنا مباشرة ؟!...

هتف (كوالسكى) بكل انفعاله :

ـ انسفوا السيارة ، فور دخولها طريق القلعة .

صاحت به (سونيا) :

ـ إياك أن تفعل !!

التفت إليها فى غضب ، فتابعت بكل الصرامة :

ـ قد يكون هذا ما ينشده .

هتف مستنكرًا :

ـ نسف السيارة التى يركبها ؟!

قالت بكل الصرامة :

ـ اتبع قواعد اللعبة يا (فيكتور) .

تطلع إليها مستهجنًا ، فتابعت :

ـ مادام (أدهم) يأتى إلى هنا مباشرة ، وبدون أى تنكر ، فهذا يعنى أنه لديه ما يفاوض عليه .

هتف (كوالسكى) :

ـ ليس لديه سوى حياته وحياة رفيقيه ، للمفاوضة عليه .

قالت فى سرعة :

ـ مقابل ماذا ؟!

تطلع إليها فى صمت متسائل ، فتابعت :

ـ التفاوض لعبة ، يحصل كل طرف فيها على ربح ما ، فلو أن (أدهم) هنا ، ليتفاوض على حياته وحياة رفيقيه ، فلديه حتمًا ما يتفاوض به بشأنه .

هتف فى عصبية :

ـ مثل ماذا ؟!

أشارت بيدها فى حزم :

ـ لن يمكننا أن نعلم ، حتى يصير هنا .

راح يدرس الموضوع فى ذهنه لحظات ، فى نفس الوقت ، الذى حملت فيه شاشات المراقبة صورة سيارة (أدهم) رباعية الدفع ، والتى يقودها بنفسه ، عبر الطريق الوحيد ، المؤدى إلى قلعة (كوالسكى) ...

كان يقود السيارة فى هدوء وثبات ، فتمتمت (سونيا) :

ـ لديه حتمًا ما يفاوض عليه .

غمغم (كوالسكى) ، وهو يراقب اقتراب سيارة (أدهم) من القلعة :

ـ ليس لديه ، ما يمكن أن نحتاج إليه ، ولكن لا بأس .

واصل (أدهم) قيادة السيارة ، بكل الثقة والهدوء ، وذهنه لا يحمل سوى صورتين ...

صورة (منى) ...

وصورة (قدرى) ...

وعلى بعد متر واحد من المدخل الوحيد للقلعة ، أوقف السيارة ...

وبكل الهدوء ، غادرها ، ووقف أمامها ...

انطلق رجال (كوالسكى) من السيارة ، وأحاطوا به ، وهم يصوبون مدافعهم الآلية نحوه ...

وكم أدهشهم الهدوء ، الذى بقى عليه ، وأبهرتهم الثقة الشديدة ، التى جعلته يعقد ساعديه أمام صدره ، على الرغم من كل الأسلحة المصوّبة إليه ، وهو يقول فى صرامة قوية :

- أريد مقابلة (فيكتور كوالسكى) ... الآن .

ولم يدر (كوالسكى) ، كيف يمكنه استيعاب هذا الموقف العجيب ...

(أدهم) يأتى بنفسه ، إلى عرين الذئاب ، وهو ممتلئ بكل الثقة والقوة !! ...

ما الذى يمنحه كل هذا ؟!...

وأية أنياب حادة يخفيها ، خلف هدوئه هذا ؟!...

أية أنياب ؟!

***

11 _ الأنياب ..

مطّ (كوربوف) شفتيه ، وهو يقف وسط حجرته ، فى المنزل الروسى الآمن ، مغمغمًا :

- إذن فقد فعلها ، وذهب إلى وكر الذئب بقدميه .

هزّ الرجل أمامه رأسه :

- (أدهم) هذا مجنون حتمًا ، وسوف ...

استوقف (كوربوف) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول فى صرامة :

- لم ولا ولن يوصف يومًا بهذا .

أطبق الرجل شفتيه فى توتر ، فى حين تابع (كوربوف) :

- هناك شىء ما فى ذهنه حتمًا .

تردد الرجل لحظات ، ثم غمغم :

- لا يوجد شىء فى الوجود ، يمكن أن يخرجه حيًّا ، من قلعة (كوالسكى) .

قال (كوربوف) فى برود :

- أنت لا تعرف (أدهم) .

أجابه فى سرعة :

- ولكننى أعرف (كوالسكى) .

صمت (كوربوف) لحظات مفكرًا ، ثم سأل فى اهتمام :

- (سونيا) تركت (الموساد) منذ فترة ، فمن عاونها ، فى اصطياد رفيقى (أدهم) ؟!

بدا الأمر وكأن الرجل كان يتوقع السؤال ، وينتظره ، فقد أجاب فور انتهاء (كوربوف) من سؤاله :

ـ مساعدها (ليفى باراك) ، ومسئول الأمن فى سفارة (إسرائيل) (إيتان إيهود) .

عاد إلى صمته لحظات ، ثم التفت إلى الرجل ، بملامح صارمة قاسية ، وهو يقول :

ـ أريدهما .

وبدون كلمة إضافية ، تحرَّك الرجل ؛ لتنفيذ الأمر ...

على الفور ...

***

على الرغم من تألق عينى (كوالسكى) ، فى ظفر مزهو ، انعقد حاجبا (سونيا) فى توتر ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، وتتطلع إلى (أدهم) ، الذى وقف وسط حجرة مكتب (كوالسكى) ، بكل الهدوء والثقة ، متجاهلًا تمامًا ذلك المسدس القوى ، الذى يصوبه (إيفان) إليه ، وتلك الزمجرة الوحشية الغاضبة التى يطلقها (أيجور) ، حتى قال (كوالسكى) شامتًا :

ـ الآن أطبقت قبضتنا عليك يا سيد (أدهم) .

تجاهل (أدهم) العبارة تمامًا ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ أين (منى) و (قدرى) ؟!

أجابه (كوالسكى) متحديًا :

ـ من أدراك أننى لم أطعمهما لكلابى بالفعل ؟!

هزَّ (أدهم) رأسه فى بطء ، وأجابه بكل الصرامة :

ـ لن تفعل ؛ لأنهما وثيقة تأمينك .

ثم مال نحوه ، ومزج صرامته بسخريته ، مضيفًا :

ـ كما أخبرتك من قبل ... علم نفس .

على الرغم من أنه من المفترض ، أنه سيد الموقف ، احتقن وجه (كوالسكى) ، وهو يهتف :

ـ أنت وقح .

مرة أخرى ، تجاهل (أدهم) تعليقه تمامًا ، وشدَّ قامته فى اعتداد ، مكررًا فى قوة :

ـ أين (منى) و(قدرى) يا (فيكتور) ؟!

ازداد احتقان وجه (كوالسكى) وغضبه ، مع ازدياد انعقاد حاجبى (سونيا) وتوترها ، وقال الأوَّل فى حدة :

ـ لماذا تتظاهر بالقوة والتماسك يا (أدهم) ؟!

صمت (أدهم) ، دون أن يجيب ، فراح (كوالسكى) يدور حوله ، مستطردًا بنفس الحدة :

ـ كلانا يعلم أنه لا مهرب لك منى هذه المرة .

غمغم (أدهم) فى هدوء :

ـ من يدرى ؟!

سرى توتر شديد ، فى نفس (سونيا) ، وألقت بقايا سيجارتها أرضًا ، دون أن تهتم بإطفائها ، وأشعلت سيجارة أخرى ، فى عصبية شديدة ، و (كوالسكى) يستمر ، وحدته تتزايد :

ـ فى المرة السابقة أعترف لك بالجرأة والسرعة وسعة الحيلة ... لقد استخدمت أحبال الستائر ؛ لتهبط من النافذة ، ولا ريب ، فى أنك قد وثبت حوالى أربعة أمتار أو أكثر ؛ لتصل إلى الأرض ... لست أدرى كيف فعلت هذا بتلك السرعة ، ولكن رفيقيك دبرا الباقى ، عبر قنابل الغاز والهليوكوبتر .

تنهَّد (أدهم) فى ملل واضح ، مما ضاعف من توتر (سونيا) وقلقها ، فنهضت واقفة ، تتطلع إلى (أدهم) ، متسائلة عما يخفيه هذه المرة ، أما (كوالسكى) فقد بدا من الواضح أن توتره يملأ نفسه ، حتى إنه تابع دون أن يتوقف :

ـ اليوم ثلاثتكم فى قبضتى ، فكيف تتصوَّر خروجك من هنا ؟!

أجابه (أدهم) ، فى هدوء مستفز :

ـ سيكون أيسر كثيرًا ، من المرة السابقة .

توقف (كوالسكى) ، ومال نحوه فى حدة ، وهو يقول بكل الغضب :

ـ ومن سيخرجك هذه المرة ؟!

تطلع (أدهم) إلى عينيه مباشرة ، وهو يجيب فى حزم :

ـ أنت .

وخفق قلب (سونيا) ، فى قوة وعنف ...

منتهى القوة ...

ومنتهى العنف ...

***

على الرغم من كل محاولاته للتماسك ، ارتجف جسد (باراك) وصوته ، وهو مقيَّد إلى مقعد معدنى ثقيل موصل بعدة أسلاك ، فى مكان أشبه بمخزن قديم ، وأمامه أخطر رجال المخابرات الروسية (سيرجى كوربوف) ، الذى سأله بصوته الجاف ، ولهجته الباردة :

ـ من عاونكم فى العثور على رفيقى (أدهم) ؟!

توتر (باراك) فى شدة ، وهو يجيب :

ـ لا أحد ... لقد فكَّرت (سونيا) ، و ...

أشار إليه إشارة صارمة باليد ، ثم رفع يده بإشارة أخرى فى الهواء ، دخل إثرها ثلاثة من رجاله يحملون مقعدًا معدنيًّا مماثلًا ، استقر فوقه (إيهود) مقيَّدًا ومكممًا ، ووضعوه إلى جوار مقعد (باراك) ، وراحوا يوصلونه بأسلاك مماثلة ، و (كوربوف) يقول فى برود :

ـ (إيتان إيهود) ، مسئول أمن سفارتكم ... كذبت فى جوابك يا (باراك) ، والكذب له عواقبه .

فور قوله ، ألصق أحدهم شريطًا لاصقًا ، على شفتى (باراك) ، فى حين ضغط (كوربوف) زرًّا أصفر أمامه ...

وانتفض جسد (باراك) فى عنف ، وجحظت عيناه عن آخرهما ، وانطلقت من حلقه صرخات مكتومة ، أشبه بنزعات الموت ، فاتسعت عينا (إيهود) بدورهما وراح يرتجف رعبًا ، حتى ضغط (كوربوف) الزر مرة أخرى ، وأشار إلى رجاله ، فنزع أحدهم الشريط اللاصق عن فم (باراك) ، الذى انهار تمامًا ، وهو يلهث ، وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فقال (كوربوف) :

— هذه مجرَّد عينة بسيطة ، وكلما سمعت كذبة ، ستتضاعف شدة التيار ، ويتضاعف زمن سريانه ... والآن ، سألقى على كل منكم السؤال مرة واحدة ، والأسبق فى الإجابة ، سينجو من ثلاثين ثانية من العذاب .

أومأ كلاهما برأسه فى قوة ، وهتف (باراك) ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

— سأجيب كل أسئلتك .

تراقصت سبَّابة (كوربوف) ، على ذلك الزر الأصفر ...

وراح يلقى أسئلة ...

تباعًا ...

***

« ماذا تخفى يا (أدهم) ؟!... »

هتفت بها (سونيا) ، بكل العصبية والتوتر ، فالتفت إليها (أدهم) فى هدوء :

— أمازلت هنا يا عزيزتى (سونيا) ؟!

ألقت سيجارتها ، واندفعت نحوه ، هاتفة :

— ماذا تخفى ؟!

صاح بها (كوالسكى) فى حدة :

— ماذا أصابك ؟!... هل صدقت محاولاته الكاذبة ؟!... إنه يخادع ... يحاول خداعنا مرة أخرى ؛ لأنه لا يملك وسيلة واحدة ، للخروج من هنا.

قال (أدهم) فى هدوء :

— مليار دولار .

التفت إليه (كوالسكى) فى حدة :

— هل تعرض فدية ؛ لخروجك مع رفيقيك من هنا ؟!

كرَّر (أدهم) ، فى هدوء مستفز :

— مليار دولار عدًّا ونقدًا .

مال (كوالسكى) نحوه فى حدة :

— لست تملك حتى ربع هذا المبلغ .

أجابه فى هدوء :

— بالتأكيد ، ولكنه جزء بسيط مما تمتلكه أنت .

ضاقت عينا (سونيا) فى شدة ، فى حين حدَّق (كوالسكى) فيه لحظة ، قبل أن يتراجع فى حدة ، ملوحًا بيده :

— لا يحتاج الأمر إلى الكثير من الذكاء ؛ ليدرك أننى أمتلك حتمًا ما يفوق هذا .

فى بطء متعمَّد ، غمغم (أدهم) :

— اثنان وسبعون مليارًا ، ومائتى مليون دولار بالتحديد .

حدَّق فيه (كوالسكى) فى دهشة عارمة ، قبل أن يتمالك جأشه ، ويتمتم :

— من أين جئت بهذا الرقم ؟!

تجاهل (أدهم) السؤال تمامًا ، وهو يتابع :

— حساب رقم سبعة آلاف واثنين وعشرين ، فى بنك (كريدى ليونى) فى (زيورخ) .

حدَّق (كوالسكى) فى وجهه ، بتوتر شديد هذه المرة ، و(سونيا) تغمغم :

— كيف فعلتها يا (أدهم) ؟!

هتف (كوالسكى) :

ـ مستحيل ... الحساب يحتاج إلى توقيع ، وبصمة عين ، وبصمات أصابع أيضًا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على ركن شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

ـ اليد الرخوة أكثر مما ينبغى ، التى صافحتها ، فى أوّل لقاء لنا ، وأنا فى شخصية (جولدمان) ، كانت قفازًا مطاطيًا ، من نوع خاص ، لم تحمل أطرافه فقط بصمات (جولدمان) ، ولكنها طبعت بصماتك أيضًا عليه ، عندما صافحتنى .

فغر (كوالسكى) فاه ، وغمغمت (سونيا) :

ـ ثعلب .

تجاهل (أدهم) كل هذا ، وهو يتابع :

ـ أما دبوس الصدر ، الذى كنت أرتديه يومئذ ، فقد كان آلة تصوير بالغة الدقة ، التقطت به بصمة قزحية عينك ، التى نسختها أصابع (قدرى) الذهبية ، على عدسة عين دقيقة ، فى واحدة من أعظم إنجازاته المبدعة ... تبقى إذن توقيعك ، الذى نسخه (قدرى) بدقة ، من الشيك ، الذى قدّمته للواشى ، على استمارة البنك .

غمغمت (سونيا) ، وقد بدا سؤالها أقرب إلى الشغف ، منه إلى الغضب :

ـ ولكن لابد وأن تملأ الاستمارة أمام موظف البنك ، و (قدرى) لم يذهب معك إليه .

ابتسم :

ـ خدعة بسيطة للغاية يا عزيزتى ... تسقطين القلم أرضًا ، وكأنه أفلت من

بين أصابعك ، وعندما ينحنى الموظف مسرعًا لالتقاطه ، تستبدلين الاستمارة الأصلية ، بتلك التى نسخها (قدرى) ، والمذيّلة بتوقيع (فيكتور) ، وتتظاهرين بالتوقيع .

نقل (كوالسكى) بصره بينهما ، بكل عصبية الدنيا ، قبل أن يصرخ :

ـ كاذب .

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة :

ـ ربما .

وثب (كوالسكى) إلى اللاب توب ، وعملت أصابعه عليه فى سرعة ، قبل أن يمتقع وجهه فى شدة ، فسألته (سونيا) :

ـ هل فعلها حقًّا ؟!

لم يجبها (كوالسكى) ، وإنما وثب إلى (أدهم) ، يجذبه من ياقة سترته فى عنف ، وهو يصرخ :

ـ لص .

أزاح (أدهم) يده فى قسوة ، و (إيفان) يهتف :

ـ أيها الزعيم .

وأطلق (أيجور) زمجرة وحشية ، وهو يتجه نحو (أدهم) ، ولكن (إيفان) استوقفه ، و (كوالسكى) يصرخ :

ـ ستعيد المال ... ستعيد كل دولار استوليت عليه .

أجابه (أدهم) بكل البرود :

ـ مقابل ماذا ؟!

هتف به :

ـ مقابل حياتك وحياة رفيقيك .

قال فى اعتداد ، وكأنه المسيطر الفعلى على الموقف :

ـ ومن أدرانى أنهما مازالا على قيد الحياة ؟!

التفت (كوالسكى) إلى (إيفان) ، هاتفًا :

ـ أحضر الأسيرين .

غمغم (إيفان) :

ـ ولكن يا زعيم ...

قاطعه (كوالسكى) بصرخة هادرة :

ـ أحضرهما .

لم يبد الرضا على وجه (إيفان) ، ولكنه خرج لتنفيذ الأمر ، و(كوالسكى) يهتف بـ(أدهم) :

ـ متى ستعيد ما سرقته ؟!

ابتسم (أدهم) فى سخرية :

ـ سرقته ؟!... سل كل موظفى البنك ، وراجع كل كاميرات مراقبتهم يا (فيكتور) ، وستجد أنك ذهبت بنفسك إلى البنك ، وسحبت كل الرصيد ، بشيك مقبول الدفع .

سأله فى توتر بالغ :

ـ وأين ذهبت به ؟!

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة :

ـ ومن أدرانى ؟!... أنت الذى خرجت به من المكتب .

احتقن وجه (كوالسكى) فى شدة ، فى نفس اللحظة ، التى عاد فيها (إيفان) إلى المكتب ، دافعًا أمامه (منى) و (قدرى) ، وهتف هذا الأخير ، فور رؤيته لـ(ادهم) .

ـ أنت هنا ؟!

سألهما (أدهم) فى اهتمام :

ـ كيف أنتما ؟!

غمغمت (منى) :

ـ وصلت فى الوقت المناسب يا (أدهم) ، فهؤلاء الحيوانات ...

لم تتم عبارتها ، فانعقد حاجباه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هل مسّك أحدهم ؟!

تنهّدت :

ـ أنت وصلت فى الوقت المناسب .

أدار (أدهم) عينيه إلى (كوالسكى) فى صرامة :

ـ لو مسَّ أحد رجالك شعرة من رأسيهما ، سأدمرك تدميرًا .

انعقد حاجبا (كوالسكى) فى شدة ، واحتقن وجهه ، فى حين قالت (سونيا) فى صرامة :

ـ وماذا عن البديل يا (أدهم) ؟!

التفت إليها بعينين متسائلتين ، وهو واثق من أنها ستنطق بأمر شرير ووحشى ...

جدًّا ...

***

فى منطقة (خزاعة) ، فى قطاع (غزة) ، كان (جميل السواركى) يعود إلى منزله ، فى ذلك الوقت المتأخر من الليل ، وذهنه منشغل بما دار بينه ، وبين مورد سلاح سورى ، يدعى (غسان القويرى) ، من المؤيدين للقضية الفلسطينية ، عرض توريد سلاح للمقاومة ، بقيمة مائة مليون جنيه ...

كان يدرس تفاصيل ذلك العرض ، وهو يفتح البوابة الحديدية لمنزله الصغير ، المكوّن من طابقين ، ثم يغلقه خلفه فى إحكام ، ويتجه يسارًا إلى حجرة مكتبه البسيطة ، فى الطابق الأرضى ، وما أن دخلها ، وأضاء الأضواء ، حتى فوجئ بصوت يقول فى لهجة مصرية :

ـ لا داعى للأنوار ... ضوء الخارج يكفى .

انتفض جسد (جميل) فى عنف ، وسحب مسدسه فى حركة غريزية ، وصوّبه إلى ذلك الرجل ، الذى يجلس فى ركن المكتب ، والذى ظلّ على هدوءه ، على الرغم من المسدس المتحفز المصوّب إليه :

ـ ولا داعى للمسدس أيضًا .

ثم مال على مقعده إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ نحن فى الفريق نفسه .

تردّد (جميل) لحظات مفكرًا ، ثم خفض مسدسه ، وأطفأ الأنوار ، وهو يغمغم :

ـ من أنت ؟!... وماذا تفعل هنا ؟!

أشار الرجل إلى المقعد المجاور له ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ يمكنك اعتبارى مجرّد صديق .

تردّد (جميل) لحظات أخرى ، ثم اتجه إلى ذلك المقعد ، وجلس عليه ، وهو يسأل فى حيرة :

ـ وماذا يريد الصديق ، فى هذه الساعة من الليل ؟!

أجابه الرجل فى حزم :

ـ منذ عدة ساعات ، التقيت مورد سلاح سورى ، قدّم لك نفسه باسم (غسان القويرى) ، مع عرض بتوريد سلاح للمقاومة ، بمائة مليون دولار .

حدّق (جميل) فى خيط الضوء ، على وجه الرجل ، مغمغمًا فى دهشة :

ـ كيف علمت هذا ؟!

واصل الرجل :

ـ وطلب أن تتولى أنت تهريب السلاح ، حتى يصل إلى المقاومة .

كرّر (جميل) فى عصبية :

ـ كيف علمت ؟!

مرة أخرى ، تجاهل الرجل سؤاله ، وهو يكمل :

ـ هذه الصفقة خدعة .

تراجع (جميل) ، متمتمًا فى دهشة :

ـ خدعة .

تابع الرجل :

ـ اسمه ليس (غسان) ، ولا ينتمى مطلقًا إلى عائلات (القويرى) ، والأهم ، أنه ليس سوريًّا .

تمتم (جميل) ، وقد سرى توتر كبير فى أعماقه :

ـ ليس سوريًّا ؟!

مال الرجل نحوه فى شدة ، قائلًا :

ـ إنه إسرائيلى .

تراجع (جميل) مصعوقًا ، فى حركة حادة ، هاتفًا بكل انزعاج :

ـ إسرائيلى ؟!... ولكن هذا مستحيل !!

تابع الرجل ، متجاوزًا التعليق :

ـ اسمه الحقيقى (إيريك جولدمان) ، وهذه صورة بطاقة هويته ، فى (الموساد) الإسرائيلى .

ناوله صورة ضوئية ، تطلع إليها (جميل) لحظات بكل الدهشة ، قبل أن يرفع عينيه إلى الرجل فى توتر :

ـ البطاقة بها صورة تشبهه ، ولكن بدون اسم .

أشار الرجل بيده فى هدوء :

ـ كل هويات (الموساد) بلا أسماء ... فقط الرقم الكودى للعميل ، والصورة تشبهه ؛ لأنه التقى بك ، متنكرًا فى صورة تاجر سورى .

صمت (جميل) لحظات ، محاولًا استيعاب الأمر ، ثم غمغم :

ـ ولكن كيف يسعى رجل موساد إسرائيلى ، لدعمنا بالسلاح !!

سأله الرجل فى هدوء :

ـ أخبرك أنكم ستتولون أمر نقله وتهريبه .

أجابه فى سرعة :

ـ بالفعل .

اكتفى الرجل بابتسامة هادئة ، وهو يتراجع فى مقعده فى بطء ، والضوء الخارجى الضعيف ، المتسلل إلى الحجرة ، يضفى على ملامحه هيبة خاصة ، فهزّ (جميل) رأسه ، وتساءل :

ـ ولكن كيف علمتم كل هذا ؟!

مرة أخرى ، اكتفى الرجل بابتسامته الهادئة ...

ودون جواب ...

إطلاقًا ...

***

« سأعرض عليك إعادة كل الأموال ، مقابل حياة رفيقيك ... »

قالتها (سونيا) ، فى مزيج من الغضب والصرامة ، وهى تسحب مسدسًا مغيرًا من حزامها ، وتصوبه إلى (منى) و(قدرى) ، فغمغم (كوالسكى) فى عصبية :

ـ كيف نجحت فى الدخول إلى هنا ، وأنت تحملين سلاحك الصغير هذا ؟!

قال (أدهم) فى هدوء ، متجاهلًا عرض (سونيا) :

ـ ثغرة أخرى ، فى جدرانك الأمنى الأسطورى يا (فيكتور) .

صاحت به (سونيا) :

ـ لا تفر من المواجهة يا (أدهم) .

أجابها (أدهم) ، فى صرامة :

ـ أنت من تفرين يا (سونيا) ... المواجهة ليست بينى وبينك .

حاول (كوالسكى) أن يبدو صارمًا ، وهو يقول :

ـ يمكنك اعتبار أننى أوجه إليك العرض نفسه يا (أدهم) .

شدّ (أدهم) قامته ، وتبادل نظرة مع (منى) و (قدرى) ، قبل أن يعود ببصره إلى (كوالسكى) فى صرامة :

- وأنا أرفضه يا (فيكتور) .

استبد الغضب بـ(كوالسكى) ، فالتفت إلى (أيجور) ، وأشار إلى (منى)، هاتفًا فى حدة شرسة :

- (أيجور) .

انقض (أيجور) على (منى) فجأة ، وأحاطها بساعديه القويتين ، وهو يطلق زمجرته الوحشية المخيفة ، فى حين جذب (إيفان) إبرة مسدسه ، وألصقها بمؤخرة عنق (قدرى) ، الذى هتف :

- أبعدها قليلًا ... إنها باردة كالثلج .

أما (منى) ، فهتفت ، وهى تقاوم ذراعى (أيجور) عبثًا :

- لا تستسلم له يا (أدهم) .

كانت (سونيا) تشعر بالغضب ؛ لأن (أدهم) قد بقى هادئًا ، على الرغم من الموقف ، فى حين صاح (كوالسكى) فى غضب :

- دقيقة واحدة يا (أدهم) ... دقيقة واحدة ، ويدفع رفيقيك ثمن عنادك .

أجابه (أدهم) بكل صرامته :

- وتخسر أنت اثنين وسبعين مليارًا ، ومائتى مليون دولار .

صرخ (كوالسكى) :

- المهم أن تدفع الثمن ، ويدرك الكل ، أنه لا يمكن لمخلوق أن ينتصر على (فيكتور كوالسكى) .

قال (أدهم) متحديًا :

- وماذا عن ثقة عملائك ؟!

أجابته (سونيا) هذه المرة ، وهى تقترب بمسدسها الصغير منه أكثر فى غضب :

- عندما تلقون مصرعكم ، لن يعلم أحد بما دار هنا ... ولا باستيلائك على أموال (فيكتور) .

هتف (فيكتور) :

- إنها ليست مجرد أموال ... إنها مليارات الدولارات .

صرخت فيه :

- (أدهم) ورفيقاه يساويان ما هو أكثر .

ثم استطردت فى مقت :

- الأموال يمكن تعويضها مع الوقت ، ولكن فرصة الظفر بالثلاثة معًا ، لن تتاح كل مرة .

بدا مترددًا يفكر ، ويغمغم :

- إنها مليارات .

صاحت :

- ستدفع لك عشرات المنظمات والتنظيمات ، أكثر من خمسمائة مليار ، مقابل القضاء على حياة (أدهم) ورفيقيه .

كان عرضًا مفاجئًا ، لم يتوقعه (أدهم) ، جعل (كوالسكى) يعيد حساباته فى سرعة ، قبل أن يصرخ :

- (أيجور) .

اندفع (أيجور) ، وهو يحمل (منى) ، التى تقاوم فى استماتة ، نحو النافذة ، فى حين استعد (إيفان) ؛ لإطلاق النار على رأس (قدرى) ، وتراجعت (سونيا) خطوة ، وهى تجذب إبرة مسدسها ، هاتفة :

ـ الوداع يا (أدهم) .

وهكذا ، فى ثانية واحدة ، صار الخطر ثلاثيًّا ...

وفى ثلاثة اتجاهات ، فى لحظة واحدة ...

ودق ناقوس النهاية ...

برنين قوى ...

جدًّا .

***

12 ـ الختام ..

وقف (سيرجى كوربوف) ، فى برود صارم كعادته ، يتابع الاستعدادات ، التى تجرى أمامه ، عندما رن هاتفه الخاص ، فالتقطه من جيبه ، ورفعه إلى أذنيه :

ـ كولونيل (سيرجى) يا جنرال .

أتاه صوت رئيسه ، وهو يقول :

ـ أحد رجالك أرسل تقريرًا عاجلًا ، يقول : إنك قد خالفت تعليمات الكريملين ، وقرَّرت منفردًا تحدى (فيكتور كوالسكى) .

غمغم (كوربوف) :

ـ هذا صحيح يا جنرال ، ولقد أخبرتك أننى أتعاون مع ذلك المصرى (أدهم صبرى) فى هذا الشأن .

قال الجنرال :

ـ بالفعل ، ولقد نقلت هذا إلى الكريملين ، الذى راجع ملف (كوالسكى) ، وملف (أدهم صبرى) ، واتخذ قرارات جديدة .

شدَّ (كوربوف) قامته ، وهو يقول :

ـ وهى ؟!

قال الجنرال فى هدوء :

ـ تاريخ (أدهم صبرى) ، وتاريخك ، أنبآهما أن فرصة الانتصار على (فيكتور كوالسكى) مرتفعة هذه المرة .

تساءل (كوربوف) :

ـ أتعنى يا جنرال أنهم قد وافقوا على المواجهة ؟!

أجابه الجنرال :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكن على تقديم الدعم الكامل لها أيضًا .

ضاقت عينا (كوربوف) ، دون أن تشف ملامحه ، عما يدور فى نفسه كالمعتاد ، وأنهى المحادثة مع رئيسه ، وهو يعود لمتابعة ما أمامه ...

بكل الاهتمام ...

وكل الانتباه ...

معًا ...

* * *

على الرغم من كل ما مرَّ به فى حياته ، لم يشهد (كوالسكى) أبدًا ، مشهدًا يشبه ذلك الذى رآه ، فى الثوانى القليلة تلك ...

وبالنسبة لمنظوره ، بدا له وكأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًا ، يتم عرضه بالسرعة القصوى ، وعلى نحو مذهل ...

لقد تحرك (أدهم) بسرعة خرافية ، فوثب فجأة ، وثبة فائقة القوة والمرونة ، وركل يد (سونيا) ، الممسكة بمسدسها الصغير ، ذى الرصاصة الواحدة ، ثم التقطه فور مفارقته أصابعها ، وأطلق رصاصته الوحيدة ، نحو جبهة (إيفان) مباشرة ، وقبل حتى أن تجحظ عينا هذا الأخير ، ارتفع جسد (أدهم) عن الأرض ، وفعل ما كان (إيفان) يتصوَّره مستحيلًا ...

ففى آن واحد ، ركلت قدمه اليمنى (كوالسكى) ، ودفعته فى عنف نحو مكتبه ، وركلت قدمه اليمنى (سونيا) بعيدًا ، ثم دار حول نفسه دورة رأسية

مدهشة ، قبل أن يهوى بلكمة كالقنبلة ، على حنجرة (أيجور) مباشرة ، مما أجبر هذا الأخير على إفلات (منى) ، على مسافة سنتيمتر واحد من النافذة ...

وعلى الرغم من إصابته العنيفة ، التى جعلته يخور كالثور ، بدا ذلك الوحش أشبه بآلة قتل مبرمجة ، وهو يستل من حزامه خنجرًا هائل الحجم ، ليهوى به على (منى) ...

ولم يكن أمام (أدهم) سوى حل واحد ...

اندفع بكل قوته وعنفوانه نحو (أيجور) ، وارتطم به فى عنف ، دفع هذا الأخير نحو النافذة ، ليحطم إطارها ، ويندفع عبرها ...

وحتى فى سقوطه ، من الطابق الثالث ، لم يصرخ (أيجور) ، وإنما أطلق ، بسبب حنجرته المحطَّمة ، خوارًا عاليًا وحشيًّا ، قبل أن يرتطم رأسه بالأرض ...

وعلى الرغم من عنف ارتطامه ، والشرخ الذى أصاب جمجمته ، والدماء التى نزفت فى غزارة ، من أنفه وفمه ، ظلَّ (أيجور) حيًّا ، يحاول النهوض ...

إلا أن كلاب (كوالسكى) المتوحشة ، جذبتها رائحة الدم ، فانطلقت فى نباح شرس ، نحو العملاق الوحشى ...

وهنا فقط صرخ (أيجور) ...

وصرخ ...

وصرخ ...

وامتزجت صرخاته بنباح وزمجرة الكلاب الوحشية بعض الوقت ، ثم لم يعد هناك سوى النباح والزمجرة فحسب ...

فى تلك الأثناء ، كان (أدهم) يمد يده لـ(منى) ، و(قدرى) يهتف :

ـ واو ... مشهد مذهل ... كالمعتاد .

قال (أدهم) ، وهو يعاون (منى) على النهوض :

ـ أأنتما بخير ؟!

قاومت (منى) رغبتها فى احتضانه ، مع شعورها القوى بالامتنان ، فى حين اكتفى (قدرى) بابتسامة ، وإيماءة رأس ، و (كوالسكى) ينهض فى عصبية شديدة ، هاتفًا :

ـ إنهم كاذبون ... قالوا إنك لا تقتل .

نهضت (سونيا) بدورها ، مغمغمة فى غيظ :

ـ اصمت يا (فيكتور) .

فى حين واجهه (أدهم) فى صرامة :

ـ الضرورات تبيح المحظورات يا هذا .

صاح به (كوالسكى) :

ـ لقد قتلت أفضل رجالى ، ولكنك لم تنتصر يا رجل ... رجالى سيحاصرون كل شبر من القلعة ، فى غضون دقائق .

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وهو يوليه ظهره :

ـ أنت انتهيت يا (فيكتور كوالسكى) .

هتف (كوالسكى) :

ـ الزعيم لا ينهزم أبدًا .

صاحت به (سونيا) مرة أخرى :

ـ اصمت يا (فيكتور) ... اصمت .

ثم أشارت إلى (أدهم) و(منى) و(قدرى) ، مستطردة فى حدة :

ـ حتى لو قتلت ثلاثتهم الآن ، سيظل قول (أدهم) صحيحًا ... أنت انتهيت يا (فيكتور) ... سمعتك الأسطورية انهارت ، كما انهارت قلعتك تمامًا .

صرخ :

ـ لا شيء انهار ... كل شيء سيعاد بناؤه ... كل شيء .

غمغمت :

ـ أحمق .

صرخ فى عنف أكثر :

ـ كل شيء سيعاد بناؤه ... لا شيء انهار .

مع نهاية صرخته ، دوى انفجار عنيف فى حديقة قلعته ، مع دوى هائل للرصاصات ، غطى على كل شيء ، حتى إن (منى) غمغمت :

ـ أمن الممكن أن !! ...

لم تتم عبارتها و (قدرى) يحدق ، عبر النافذة المكسورة ، فى أسراب من طائرات الهليوكوبتر ، تهاجم القاعة من كل صوب ، وتمطرها بالصواريخ ورصاصات مدافعها الآلية ، فغمغم (قدرى) :

ـ (كوربوف) !!

وامتقع وجه (كوالسكى) فى شدة ، مع دوى القنابل والرصاصات ، التى راحت تحصد رجاله وكلابه حصدًا ، وغمغمت (سونيا) فى مقت :

ـ لقد انتهيت يا (فيكتور) .

وفى هذه المرة ، لم يملك (فيكتور كوالسكى) جوابًا ...

فقط ، امتقع وجهه فى شدة ، ولم تعد ساقاه بقادرتين على حمله ، فتهاوى أرضًا ، كجوال فارغ ...

ولأوّل مرة فى حياته ، بكى (كوالسكى) ...

بكى مثل طفل فاشل ، ضبطه أستاذه ، يحاول سرقة أوراق إجابته ...

أما (سونيا) ، فلأوّل وآخر مرة فى حياتها ، اكتفت بالوقوف فى مكانها ... والاستسلام ...

الاستسلام التام ...

***

ران صمت تام على معمل (قدرى) ، وهذا الأخير يعد شطيرة من اللحم البارد ، قبل أن يسأل (عادل) :

ـ أترغب فى شطيرة .

ازدرد (عادل) لعابه ، وبدا صوته أجشًّا ، وهو يغمغم :

ـ كلا ... أشكرك .

عاد (قدرى) إلى المائدة فى هدوء ؛ ليلتهم شطيرته ، فازدرد (عادل) لعابه مرة أخرى ، وهو يغمغم :

ـ أنت على حق يا سيد (قدرى) ... هذه العملية تختلف .

أشار (قدرى) بيده :

ـ أنت تعلم أنه فى عالمنا ، كل عملية لها حتمًا سمة تختلف .

صمت (عادل) لحظات ، ثم سأل فى شغف :

ـ الهدف منذ البداية إذن ، كان تدمير (كوالسكى) ، وليس القضاء عليه !!

أومأ (قدرى) برأسه ، وقال :

ـ عندما تحطم رجلًا مثل (كوالسكى) ، تكون كمن قضى عليه تمامًا ...
لقد استولى (أدهم) على كل ما يمتلك ، وأضاف رصيده كله إلى حساب خاص ، ثم تحويله فيما بعد ، إلى البنوك الوطنية المصرية ، ونشر هذا فى كل (أوروبا) و(آسيا) والشرق الأوسط ، ففقد (كوالسكى) سمعته ، وثقة كل عملائه ، فى كل مكان فى العالم ... أضف إلى هذا أن تدمير السمعة الأسطورية لقلعته الشهيرة ، أوصل رسالة للكل ، أنه ما من ممول للإرهاب ، يمكن أن يظلّ فى مأمن ، مادمنا نلاحقه .

تساءل (عادل) ، فى اهتمام أكبر :

ـ أكان بالفعل (سيرجى كوربوف) ، هو من هاجم القلعة بقواته ؟!

ابتسم (قدرى) ، وقضم قضمة كبيرة من شطيرته ، قبل أن يجيب :

ـ السلطات فى (أوكرانيا) ، لم تستطع إثبات ذلك قط ، ولهذا فقد انتهت التحقيقات إلى أنها حرب عصابات .

تراجع (عادل) فى مقعده ، متسائلًا :

ـ وماذا عن (كوالسكى) نفسه ... لم يذكر ملفه قط شيئًا عن مصيره .

هزّ (قدرى) رأسه :

ـ ولن يذكر .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ لقد وقع فى قبضة الروس ... على نحو غير رسمى .

غمغم (عادل) :

ـ على الرغم من كل ما فعله ، فأنا أشفق عليه .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ و(سونيا) ؟!

هزَّ (قدرى) كتفيه المكتظين ، وهو يجيب :

ـ على الرغم من المعلومات ، التى انتزعها (كوربوف) ، من (باراك) و(إيهود) ، والتى تثبت تورّطها مع (كوالسكى) ، إلا أن الروس ليست لديهم مشكلات كبيرة مع الإسرائيليين ، ولهذا ، فقد حققوا معها لشهر أو يزيد ، ثم أطلقوا سراحها .

ابتسم (عادل) :

ـ ياللخسارة !!

ثم بدا وكأنه قد تذكَّر شيئًا ، فرفع سبَّابته ، وهو يقول فى شغف :

ـ هناك نقطة لا أفهمها ، ولست أجد لها صلة بالعملية .

تطلع إليه (قدرى) لحظات ، ثم غمغم :

ـ لا ريب فى أنك تقصد عملية (جميل السواركى) فى (غزة) .

هتف به :

ـ بالضبط .

التقط (قدرى) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ هذا سيعيدنا إلى تلك اللحظة ، التى انتحل خلالها (أدهم) و(منى) صفة طبيب وممرضة ، فى مستشفى (كييف) .

سأله (عادل) فى سرعة :

ـ الحقنة ؟!

أشار (قدرى) بسبَّابته :

ـ بالضبط ... لقد كانت تحوى جهاز ناقل صوتى دقيق ، ظلَّ ينقل لنا كل ما يقوله أو يسمعه (جولدمان) لفترة طويلة ... لو أضفت إلى هذا ما حصل عليه (كوربوف) ، بوساطة جهازه الرقمى ، من ذاكرة كمبيوتر (كوالسكى)، أمكننا معرفة كل تفاصيل الصفقة ، وجعلنا نبادر بتحذير (جميل السواركى) .

تنهَّد (عادل) فى عمق ، وهو يغمغم فى ارتياح :

ـ الآن اكتملت الصورة .

نهض (قدرى) ؛ ليعد كوبًا من الشاى ، وهو يتمتم :

ـ على الرحب والسعة .

نهض (عادل) بدوره ، والشعور بالامتنان يملأ نفسه ، وصافح (قدرى) فى حرارة :

ـ أشكرك كثيرًا يا سيد (قدرى) ... لقد كانت هذه أمتع لحظات ، قضيتها فى حياتى .

كرَّر (قدرى) ، مع ابتسامة حانية :

ـ على الرحب والسعة دومًا .

تساءل (عادل) قبل أن ينصرف :

ـ أتعشَّم أن تكون لديك روايات أخرى ، عن سيادة العميد ومغامراته ، يا سيد (قدرى) .

غمغم (قدرى) ، وهو يصب الشاى :

ـ ربما .

ابتسم (عادل) ، وأومأ برأسه ، واتجه نحو الباب ، ثم توقف عنده لحظة ، قبل أن يلتفت إلى (قدرى) ، متسائلًا :

ـ سيد (قدرى) ... هل تعتقد أنه سيعود يومًا ؟!

ارتشف (قدرى) رشفة من الشاى ، وأجاب :

ـ حتمًا ... عندما تحتاج إليه .

سأله بكل اهتمام :

ـ من ؟!

أجابه ، وهو يرفع رأسه فى اعتداد :

ـ (مصر) .

وسرت تلك الارتجافة المنعشة فى قلب (عادل) ...

الارتجافة التى تحمل دومًا رنين ذلك الاسم السحرى فى القلوب ... (مصر) .

***

(تمت بحمد الله)

صدر من هذه السلسلة ..

ملف المستقبل

سرى جدًا !!

صدر من هذه السلسلة ..

١ ـ أشعة الموت .
٢ ـ اختفاء صاروخ .
٣ ـ مدينة الأعماق .
٤ ـ غزاة الفضاء .
٥ ـ القنبلة الغامضة .
٦ ـ زائر من المستقبل .
٧ ـ جنون طائرة .
٨ ـ الارتجاج القاتل .
٩ ـ صراع الحواس .
١٠ ـ الفارس المجهول .
١١ ـ منطقة الرعب .
١٢ ـ طريق الأشباح .
١٣ ـ الزمن المفقود .
١٤ ـ نداء النجوم .
١٥ ـ مثلث الغموض .
١٦ ـ الوباء الجهنمي .
١٧ ـ نبض الخلود .
١٨ ـ ظلال الفزع .
١٩ ـ عيون الهلاك .
٢٠ ـ العقول المعدنية .
٢١ ـ أطياف الماضي .
٢٢ ـ ليلة الرعب .
٢٣ ـ بصمات السحرة .
٢٤ ـ الضوء الأسود .
٢٥ ـ صحوة الشر .
٢٦ ـ لعنة الفضاء .
٢٧ ـ القط الزجاجي .
٢٨ ـ النهر المقدس .
٢٩ ـ الإيقاع المفترس .
٣٠ ـ النار الباردة .
٣١ ـ رنين الصمت .
٣٢ ـ الأفق الأخضر .
٣٣ ـ حارس الأرواح .
٣٤ ـ وحش المحيط .
٣٥ ـ مرآة الغد .
٣٦ ـ الموت الأزرق جـ ١ .
٣٧ ـ السماء المظلمة جـ ٢ .
٣٨ ـ من وراء النجوم جـ ٣ .
٣٩ ـ الثلوج الساخنة .
٤٠ ـ علامات الخوف .
٤١ ـ مملكة النار .
٤٢ ـ الأرض الثانية .
٤٣ ـ ثقب في التاريخ .
٤٤ ـ الخارقون .
٤٥ ـ السحاب الأحمر .
٤٦ ـ الكوكب الملعون .
٤٧ ـ المقاتل الأخير .
٤٨ ـ سجن القمر .
٤٩ ـ غزو الأرض .
٥٠ ـ الأسطورة .
٥١ ـ الخلية القاتلة جـ ١ .
٥٢ ـ العدو الخفي جـ ٢ .
٥٣ ـ أمطار الموت .
٥٤ ـ عبر العصور جـ ١ .
٥٥ ـ أسرى الزمن جـ ٢ .
٥٦ ـ شيطان الأجيال جـ ٣ .
٥٧ ـ منطقة الضياع .
٥٨ ـ معركة الكواكب جـ ١ .
٥٩ ـ جحيم أرغوان جـ ٢ .
٦٠ ـ أرض العمالقة .
٦١ ـ الكابوس .
٦٢ ـ سادة الأعماق جـ ١ .
٦٣ ـ المحيط الملتهب جـ ٢ .
٦٤ ـ السيف البلوري جـ ١ .
٦٥ ـ أبواب الموت جـ ٢ .
٦٦ ـ الشمس الزرقاء .
٦٧ ـ شيطان الفضاء .
٦٨ ـ عقول الشر .
٦٩ ـ العالم الآخر .
٧٠ ـ الستار الأسود .
٧١ ـ أمير الظلام .
٧٢ ـ ابن الشيطان جـ ١ .
٧٣ ـ مبعوث الجحيم جـ ٢ .
٧٤ ـ الصراع الجهنمي جـ ٣ .
٧٥ ـ الجولة الأخيرة جـ ٤ .
٧٦ ـ الاحتلال جـ ١ .
٧٧ ـ المقاومة جـ ٢ .
٧٨ ـ الصراع جـ ٣ .
٧٩ ـ التحدي جـ ٤ .
٨٠ ـ النصر جـ ٥ .
٨١ ـ رمز القوة .
٨٢ ـ حصن الأشرار .
٨٣ ـ أرض العدم .
٨٤ ـ كنز الفضاء .
٨٥ ـ الأمل الفيروزي .
٨٦ ـ الإمبراطور .
٨٧ ـ نصف آلي .
٨٨ ـ الانفجار الحي .
٨٩ ـ البركان .
٩٠ ـ رعب في الأعماق .
٩١ ـ ضد الزمن .
٩٢ ـ الرحلة الرهيبة .
٩٣ ـ نقطة الصفر .
٩٤ ـ الساحر .
٩٥ ـ القوة السوداء .
٩٦ ـ بذور الشر .
٩٧ ـ لهيب الكواكب .
٩٨ ـ نيران الكون .
٩٩ ـ الانفجار .
١٠٠ ـ الزمن ـ صفر .
١٠١ ـ الحرباء .
١٠٢ ـ التوءم الرهيب .
١٠٣ ـ الأرض المفقودة .
١٠٤ ـ أنياب ومخالب .
١٠٥ ـ وجوه من ثلج .
١٠٦ ـ بلا أثر .
١٠٧ ـ لعنة الدم .
١٠٨ ـ مصيدة الفضاء .
١٠٩ ـ الدوامة .
١١٠ ـ الفجوة السوداء .
١١١ ـ كوكب الطغاة .
١١٢ ـ بصمة الموت .
١١٣ ـ حرب الفيروسات .
١١٤ ـ الرعب .
١١٥ ـ العدو الخارق .
١١٦ ـ العاصفة النووية .
١١٧ ـ فارس الزمن .
١١٨ ـ ألف عصر .
١١٩ ـ زمن الدم .
١٢٠ ـ الفارس الثاني .
١٢١ ـ المجهول .
١٢٢ ـ الظلال الرهيبة .
١٢٣ ـ دائرة الظل .
١٢٤ ـ الغزاة .
١٢٥ ـ كرة النار .
١٢٦ ـ لهيب الرعب .
١٢٧ ـ طريق النجوم .
١٢٨ ـ الزمن الآخر .
١٢٩ ـ وراء العقل .
١٣٠ ـ القوة .
١٣١ ـ العاصفة .
١٣٢ ـ الرمال الحية .
١٣٣ ـ نقطة التماس .
١٣٤ ـ سادة الكون .
١٣٥ ـ فودو .
١٣٦ ـ الأحراش الفسفورية .
١٣٧ ـ الشر .
١٣٨ ـ الأعماق .
١٣٩ ـ حرب الأشباح .
١٤٠ ـ قراصنة الزمن .
١٤١ ـ الثعابين .
١٤٢ ـ أنياب .
١٤٣ ـ بلا جسد .
١٤٤ ـ العقل .
١٤٥ ـ الخصم الرهيب .
١٤٦ ـ البقعة المظلمة .
١٤٧ ـ الصحوة الكبرى .
١٤٨ ـ عودة الشر .
١٤٩ ـ ؟
١٥٠ ـ آخر العمالقة .
١٥١ ـ بلا وعي .
١٥٢ ـ الفيروس .
١٥٣ ـ المفقودون .
١٥٤ ـ الزئبق الجاف .
١٥٥ ـ الكهف .
١٥٦ ـ عالم جديد .
١٥٧ ـ أطلال الماضي .
١٥٨ ـ حرب الغد .
١٥٩ ـ نيران المستقبل .
١٦٠ ـ نهاية العالم .

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص والروايات المصرية

قمة في التشويق والإثارة

صدر من هذه السلسلة ..

١ ـ النبوءة .
٢ ـ سيف العدالة .
٣ ـ البديل .
٤ ـ بدوية .
٥ ـ لعنة البحر .
٦ ـ المندوب .
٧ ـ سر القصر .
٨ ـ تحقيق .
٩ ـ الزائر الغامض .
١٠ ـ الفارس .
١١ ـ ثمن الصداقة .
١٢ ـ العنقاء .
١٣ ـ جزيرة القدر .
١٤ ـ نداء الأعماق .
١٥ ـ التجربة الرهيبة .
١٦ ـ المهمة .
١٧ ـ الشيء .
١٨ ـ البعد الخامس .
١٩ ـ ضيف النجوم .
٢٠ ـ البعث .
٢١ ـ صانع اللعب .
٢٢ ـ الكوكب العاشر .
٢٣ ـ آلة الزمن .
٢٤ ـ اللغز .
٢٥ ـ أوراق بطل .
٢٦ ـ الملحمة .
٢٧ ـ الوريث .
٢٨ ـ قلعة الأسرار .
٢٩ ـ عملية الأستاذ .
٣٠ ـ قارون .
٣١ ـ الدم .
٣٢ ـ النداء .
٣٣ ـ الجرثومة .
٣٤ ـ رؤيا .
٣٥ ـ الغريب .
٣٦ ـ السلسلة الوحشية .
٣٧ ـ الرحلة .
٣٨ ـ قلب البحر .
٣٩ ـ الأمير .
٤٠ ـ المتحورون .
٤١ ـ فارس المستقبل .
٤٢ ـ الغامض .
٤٣ ـ ذلك اليوم .
٤٤ ـ الزهرة القرمزية .
٤٥ ـ جريمة رقمية .
٤٦ ـ القادم .
٤٧ ـ ذاكرة الغد .
٤٨ ـ النجم .
٤٩ ـ جدي الحبيب .
٥٠ ـ الهدف أنت .
٥١ ـ صدمة .